أجاثا كريستي

أدلّة الجريمة

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

أدلة الجريمة

- ١ -

الكلب المفقود

– ماذا وراءك يا مس ليمون ؟

كان هـذا أول سؤال ابتدر بـه هركيول بوارو سكرتيرته ، وهـو يدخل مكتبه !

فأجابته مس ليمون:

– لا أكثر من خطاب واحـد ربما يعنيك أمره يا مسـتر بوارو .. يطالب مرسله اليك البحث عن كلب زوجته المختفي !

ثم تركته قبل ان ترى نظراته العاتبة وبدأت تعمل على الآلة الكاتبة بسرعة خاطفة فلم تسمع ما كان يتمتم به من كلمات !

وتنـاول الخطاب ولم ينته من قراءتـه ، حتى آلتوست شفتاه ، وغمغم بين أسنانه :

« سرقة كلب تقتنيه سيدة غنية !. إنها حادثة عادية : ولكن ترى هل في الأمر شيء ؟ »

ثم جلس يعيد قراءة الخطاب بهدوء وإمعان ، وهو لا يزال مصراً على أنها مسألة عادية .

ولكن سرعان ما اعترته دهشة قوية فارتفع صوته على غير وعي منه حتى طغى على ضجيج الآلة الكاتبة .

سمعته مس ليمون يقول :

– أطلبي السير جوزيف هوجين ، واتفقي معه على موعد ، أقابله فيه بمكتبه .

فصدعت السكرتيرة الأمينة للأمر !

* * *

قال السير جوزيف هوجين :

– أنا شخص بسيط يا مستر بوارو !

ورغم إعجاب بوارو بتواضع مضيفه وإنكاره لذاته ، فإن الصورة التي انطبعت في ذهنه تدل حقاً على أنه رجل بسيط ..

فقد كانت عينا السير جوزيف صغيرتين كعيني الخنزير ، وأنفه معوجاً ، وشفتاه مغلقتين . ذكرته هيئته بشخص كان قد رآه في بلجيكا ولكنه لا يستطيع الآن ان يتبين من هو !.

واستطرد السير جوزيف يقول :

– قد يترك كثير من الناس مثل هذه الحادثة تمر وكأنها لم تكن .. ولكنني لست من هؤلاء . أنا شخص غني لا تهمني طبعاً ، مائتا جنيه فدية لكلب زوجتي العزيزة ..

فقال بوارو بلهجة تشوبها السخرية :

- إذن فلأهنئك !

فصمت السير جوزيف لحظة وازدادت عيناه ضيقاً ثم قال بحدة :

- لا أعني طبعاً إني أبعثر نقودي بغير حساب، ولكني لا أتردد في دفع أي مبلغ ما دمت أوقن بأنه قد وضع في محله ..

- هل تعرف اني أتقاضى أجراً عالياً ؟

فنظر اليه السير جوزيف بخبث ورد :

- نعم . نعم ! هذا أمر يسير !

لا أعرف المساومة لأني رجل أخصائي في مهنتي ، ويجب أن أتقاضى أجراً مجزياً !

قال السير جوزيف بصوت صريح :

- قد تحريت عنك ، وعلمت مدى كفاءتك ، ولهذا استدعيتك لأكل اليك هذه المهمة . ومهما ارتفع أجرك فلن يعوقني شيء عن تنفيذ غرضي والوصول إلى هدفي !

- انك لسعيد حقاً ! فإني قررت اعتزال العمل ، والعودة إلى الريف والطواف أحياناً حول العالم ، والعناية بضيعتي ، غير أن قضيتك جذبتني لتفاهتها !

- مدهش ! لعلك لم تجرب ضيق السيدات وضجرهن عندما يفقدن كلابهن المدللة ؟!

- قد جربت ذلك . ولكن هذه هي المرة الأولى التي يستدعيني فيها الزوج للقيام بمثل هذه المهمة !

وهنا ازدادت عينا السير جوزيف ضيقاً وقال :

- قد أدركت سبب امتداح الناس لك .

- متى اختفى الكلب ؟

- منذ أسبوع بالضبط .

– هل رجع اليكم ؟
فاحمر وجه السير جوزيف وقال :
– نعم !
فصاح بوارو :
– إذن ما دوري أنا .. وماذا تريد مني ما دام الكلب قد عاد ؟
قال السير جوزيف :
– نعم سأروي لك القصة بحذافيرها .
منذ أسبوع خرجت زوجتي ومعها كلبها البكينيز وتوجهت الى حديقة كنسنجتن حيث سرق . وفي اليوم التالي ، طولبت بمائتي جنيه مكافأة لرده .
– ولم توافق طبعاً على دفع المكافأة ؟
– لم أوافق ، أو بعبارة أصح ، لم أسترح لتصرف زوجتي التي لم تكاشفني بالحقيقة ، إلا بعد إرسال المكافأة ، إلى العنوان الذي حدد لها !
– وهل عاد الكلب؟
– نعم . في نفس ذلك المساء رن جرس الباب ، فوجدناه يجلس وحيداً على العتبة .
– حسناً .. إستمر .
– بعد ذلك صارحتني زوجتي بما فعلت فكدت أجن من شدة الغيظ لكني تمالكت نفسي إذا لم أر فائدة من الغضب على شيء مضى . ولعلي كنت على وشك نسيانه لولا ان قابلت صديقي صمويل في النادي .
– ماذا ؟
– قد وقعت له نفس الحادثة وطلب من زوجته ان تدفع ثلاثمائة جنيه ، ولهذا قررت ان أضع حداً لهذه المهازل فاستدعيتك

ـ ولكن الطريق السهل الذي لا يكلفك شيئاً هو ان تبلغ البوليس !

ـ هل أنت متزوج يا مستر بوارو ؟

لم تتيسر لي هذه السعادة مع الأسف .

ـ لو انك نعمت بهذه السعادة لعلمت ان النساء مخلوقات عجيبة . فبمجرد أن ذكرت البوليس أمام زوجتي كاد يطير عقلها فرحاً من أن يصيب كلبها المدلل سوء ولولا إصراري على استدعائك لما أذعنت !

ـ الموقف دقيق . فهل توافق على ان أقابل زوجتك لأحصل على معلومات أوفى ولأؤكد لها ان تطمئن في المستقبل على كلبها العزيز ؟

فأومأ السير جوزيف برأسه بالموافقة ثم وقف وقال :

ـ إذن سآخذك معي في سيارتي .

* * *

كانت غرفة الاستقبال فسيحة فخمة الأثاث ، ينبعث منها الدفء والعطر . وكان يجلس بها سيدتان . وعندما دخل السير جوزيف وصاحبه اندفع كلب صغير من النوع الثمين نحو بوارو وراح ينبح بشدة فأخذت صاحبته تلطف من حدته وطلبت من مرافقتها أن تسكته !

قال بوارو :

ـ كلب كالأسد ، لا يهاب أحداً ولا يخشى شيئاً .

وبعد ان قدمه السير جوزيف إلى زوجته تركهما وانصرف .

كانت الليدي هوجين سيدة ضخمة الجسم ، يعلو هامتها شعر أحمر من أثر الخضاب . وكانت وصيفتها أو مرافقتها مس كارنابي مقبولة الشكل وإن تكن قد تجاوزت الأربعين من عمرها !

قال بوارو :

– هل تتفضلين بإخباري ، عن ظروف هذه الحادثة ، يا ليدي هوجين ؟

قالت الليدي :

– أشكرك لاهتمامك الملحوظ بهذه الحادثة التي كان سيذهب ضحيتها كلبي العزيز !

وبعد أن أظهرت مس كارنابي شيئاً من اللوعة ، على ما كان سيلقاه المسكين .

قال بوارو :

– أريد ان أعرف الحقيقة !

فردت الليدي :

– حسناً ، قد خرج الكلب للنزهة مع مس كارنابي .

وهنا قاطعتها مس كارنابي :

– نعم ، كانت غلطتي . كم كنت غبية ومهملة !

قالت الليدي :

– لا أريد تأنيبك ، يا عزيزتي .. فإني أظن أنك كنت ذكية ، ولبقة .

فالتفت بوارو إلى مس كارنابي وقال :

– ماذا حدث ؟

– شيء عجيب حقاً . كنا نسير في المنتزه فوق العشب ، وبين الزهور وكان شانتنج الكلب الظريف يتولى القيادة ، ويجري أمامنا حيناً ، ويقف أحياناً ، حتى أخذنا نصيبنا من التنزه .

وفي أثناء عودتي لفت نظري طفل صغير بخديه الورديتين وشفتيه القرمزيتين اللتين انفرجتا عن ابتسامة شدتني اليه ، فوقفت أسأل مربيته عن

عمره . فردت بأنه يبلغ الثمانية عشر شهراً ولم يتجاوز حديثي مع المربية أكثر من دقيقتين . وبعد ذلك تلفت حولي فلم أعثر بالكلب وإذا بي أفقد مرشدي ودليلي !

فقالت الليدي :

ـ لو كنت منتبهة يقظى لما أضعت دليلك ..

فاغرورقت عينا السيـدة . ولكن بوارو استـدرك ذلك ، وسألها بسرعة :

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

فردت مس كارنابي :

ـ لقد بحثت عنـــه في كل مكان ، وطفقت أناديه بأعلى صوتي ، كمن أصابه مس ، ولما يئست سألت حارس المنتزه إذا كان قد رأى أحداً يحمل كلباً وهو خارج من المنتزه ، فأجابني بالنفي . وأخيراً عدت آسفة حزينة !

وبعد فترة قصيرة من الصمت قال بوارو :

ـ وبعد ذلك تسلمتم الخطاب ؟

قالت الليدي :

ـ عثرت في أول بريد وصلنا ، في صبيحة اليوم التالي ، خطاباً يقول كاتبه اني إذا كنت أريد ان أرى كلبي ثانية فعلي ان أبعث بورقتيـن من ذات المائة جنيه ، بعنوان الكابتن كورتس رقم ٣٨ شارع بلومسبوري مع تحذيري بأنه إذا وضعت أية علامة بالنقود أو بلغ البوليس أي نبأ فستقطع أذنا الكلب ويفصل ذيله

قالت مس كارنابي :

ـ ما أقسى قلب الانسان !

وتابعت الليدي حديثها :

– وذكر الخطاب ، بأني إذا أرسلت النقـــود حالاً ، فسوف يعود إلي كلبي سليماً معافى . أما إذا لجأت إلى البوليس فالقصـاص واقع على الكلب لا محالة !

قالت مس كارنابي بصوت متهدج :

– لا يزال الرعب يتملكني كلما تخيلت أن المستر بوارو من رجـال البوليس !

رد بوارو :

– ولكني لست من أفراد البوليس ، وستسير تحرياتي بمنتهى الحذر والهدوء وسيكون كلبك في أمان .

فوقعت كلماته من قلب السيدتين موقعاً حسناً ..

وتابع يقول :

– هل الخطاب عندك ؟

فردت الليدي :

– كلا ، لأني أمرت برده ثانية مع المال .

– هل نفذت ذلك الأمر ؟

– نعم ..

قالت مس كارنابي

– لكني محتفظة بسلسلة الكلب ويمكنني ان أحضرها .

وانتهز بوارو فرصة خروجها من الغرفة ليستأنف حديثـه بحرية مع الليدي التي أخذت تقول :

– آمي كارنابي طيبة ، وإن كانت لا تخلو من الطيش كسائر أترابها اللاتي عاشرتهن فهن مغرمات كثيراً بالأطفال . ولكن على الرغم من ذلك فما كنت أظن ان تفعل كارنابي مع كلبي أكثر مما فعلت ؟!

قال بوارو :

– لكن ما دام الكلب قد ضاع منها فلا بد وان يرتاب المرء في أمانتها هل قضت في خدمتك وقتاً طويلاً ؟

– استخدمتها منذ عام تقريباً ، وكانت قبل ذلك في خدمة مدام هارتنجفيلد .. إذ قضت عندها عشرة أعوام .. وهي شخصية ممتازة .

وعادت مس كاناتي تحمل السلسلة الخاصة بالكلب وسلمتها لبوارو فأخذ يفحصها بدقة وقال :

– نعم ولكن السلسلة مقطوعة من غير شك !.

وظلت السيدتان صامتتين إلى ان قال :

– سأحتفظ بها على كل حال !

ووضعها في جيبه بكل هدوء .. وتنفست السيدتان الصعداء لأنه لم يفعل اكثر مما كان ينتظر منه !

* * *

لم يكن من عادة بوارو ان يترك الأمور تمر من غير ان يمعن في تمحيصها وإن كانت الظواهر تدل على ان مس كارناتي إمرأة حمقاء إلا ان موقفها في هذا الحادث كان يدعو الى الريبة ..

لهذا ، اصر على مقابلة ابنة شقيق مدام هارتنجفيلد ! لأن هذه الأخيرة كانت قد توفيت .

وقالت مس مالترافر :

– آمي كارناتي ؟! نعم أذكرها جيداً ! سيدة طيبة . كانت موضع تقدير عمتي جوليا ! تحب الكلاب وتجيد القراءة بصوت مرتفع ! ماهرة

ومطيعة ! هل حدث منها شيء ؟ لقد أعطيتها شهـــادة حسنة لتقدمها إلى مخدومتها الجديدة وكان ذلك منذ عام تقريباً !

فقال بوارو :

– لا تزال مس كارنابي عند حسن ظنك بها.. ولكنهن مشكلتها انها فقدت كلب مخدومتها !.

– مس كارنابي تحب الكلاب ، وقد كان لدي عمتي كلب عزيز . تركته لها بعد وفاتها . فكانت تحبه وتدلله واظن انها حزنت كثيراً لموته . نعم انها سيدة طيبة وإن كانت لا تخلو من حماقة ..

وكانت الخطوة التالية لبوارو وهي سؤال حارس المنتزه الذي شهـد الحادث ..

قال الحارس :

– سيدة بدينة . اضاعت كلبها ، اني اعرفها ويمكنني ان ارشد اليها لو رأيتها لأنها دائمة التردد بعد ظهر كل يوم ، فقـــد حضرت وبرفقتها كلبها كالمعتاد . ولكنها اضاعته ، فجاءتني تسأل في هلع واضطراب عما إذا كنت قد رأيت كلبها فأجبتها بأن الكلاب تأتي إلى هذا المنتزه بكثرة وعلى اختلاف انواعها ويتعذر علي ان اميز بينها .

فهز بوارو رأسه ثم ذهب الى المنزل رقم ٣٨ بشارع بلومسبـوري .. وجد الأرقام ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ ، قد وضعت جميعها على واجهة فنـدق بلاكلافا !

صعد درج الفندق ، ثم دفع الباب فانفتح !

زكمت انفه رائحة كرنب وبقايا طعام الإفطار !.. رأى على يمينـــه طاولة ويجانبها رف لخطابات الزائرين . فوقف يتأمله لحظة .. ثم دفع باباً على يمينه ادى به الى ردهة بها كراسي مريحة مغطاة بقماش الكريتون المنقوش وبضع مناضد صغيرة مبعثرة هنا وهناك !

وكان يجلس بالردهة ثلاث سيدات شمطاوات ورجل عجوز ، مقطب المحيا حديد النظر ، فرفع الجميع رؤوسهم . ينظرون إلى هـذا الضيف الفضولي !.

ولكن بوارو انسحب بسرعة وسار في ممر طويل إلى حيث تفرع منه ممر آخر الى الجهة اليمنى ادى به الى غرفة الطعام والى غرفة اخرى على بابها لافتة صغيرة كتب عليها « المكتب » ..

طرق باب المكتب طرقاً خفيفاً فلم يجبه احد ففتح الباب فرأى مكتبا كبيراً عليه بعض الأوراق ولكنه لم يجد احداً !. فانسحب واغلق الباب ثانية ثم دخل غرفة الطعام !

وجد بها فتاة بائسة عليها ميدعة قذرة وتحمل سلة صغيرة ملأى بالملاعق والسكاكين . تضع منها ما تريد على المائدة !

قال بوارو معتذراً :

– معذرة .. هل يمكنني ان اقابل المديرة ؟.

– اؤكد لك اني لا ادري !

– الا يوجد احد بالمكتب ؟

– اؤكد لك اني لا اعرف اين هي ؟

– ربما تستطيعين العثور عليها ؟

– حسنا . سأحاول !

فشكرها بوارو وذهب الى الردهـــة ينتظر المديرة .. زكمت انفه رائحة عطر البنفسج معلنة قدوم شخص !

وكانت الآتية هي مس هارت المديرة . سيدة انيقة تضج بالجاذبية !. قالت معتذرة :

– انا آسفـة ، لأني لم اكـن في مكتبي .. هـل كنت تريـد غرفة !

قال بوارو :
- كلا .. اني ابحث عن صاحبي الكابتن كورتيس .
- كابتن كورتيس ! لا اذكر متى سمعت هذا الاسم !
- ربما لم تسمعي به . ولكن هل ينزل هذا الشخص هنا !
- اؤكد لك انه لم ينزل هنا في الأيام الأخيرة .. وإن كان هذا الأسم معروفا لدي . ايمكنك ان تصف لي صاحبه !
- من الصعب علي ان اصفه . ولكني اظن ان الخطابات تصلكم بأسماء لا ينزل اصحابها عندكم !
- قد يحدث ذلك طبعا .
- ماذا تفعلين بمثل هذه الخطابات !
- نحتفظ بها حتى يأتي اصحابها ، وإذا طال عليها الأمد اعدناهـــا الى مكتب البريد !
هز بوارو رأسه وقال :
- آه .. الواقع اني كنت قد كتبت له خطابا !.
فتفرست فيه مس هارت بحدة وقالت :
- اذكر انني قرأت هذا الاسم بأحد الخطابات ..
ولكن نزلاءنا وضيوفنا من رجال الجيش السابقين كثيرون جداً .. فاتركني ابحث .
وراحت المديرة تبحث في مكتبها ..
واستدرك بوارو قائلا :
- الخطاب ليس عندكم الآن .. وربما رد ثانية الى مكتب البريد . انا آسف ليس الأمر مهما على كل حال !
وانصرف بوارو ..
وقالت المديرة وهي تودعه :

ربما يأتي صديقك هنا في فرصة أخرى !

لا يحتمل حضوره ثانية .. لقد كنت مخطئاً !

فقالت المديرة ، ولا يزال عطر البنفسج ينتشر من ثيابهـا فيعطر الجو :

– نحن نعد لنزلائنا أثاثاً فخماً ونخدمهم بأمانة ولا نتقاضاهم سوى أجر يسير مع تقديم القهوة عقب الأكل .. هل تتفضل معي لـترى بقيه الغرف ؟

ولكن بوارو استطاع أن يهرب منها بلباقة !

* * *

كانت غرفة الاستقبال الخاصة بمدام صمويل اكثر إتساعـاً وأفخم أثاثاً من غرفة الليدي !

وكانت صاحبتها أكثر طولاً ، تصبغ شعرها بمزيج الأوكسجين ، أما كلبها المدلل فاسمه تاكي بو .

وقد أخذ يفحص بوارو بعينيه الواسعتين ..

وأما وصيفتها مس كيبل فتختلف عن مس كارتابي بنحافة بدنها وإن كانت تشاركها في بعض الصفات والحركات ..

وقد لقيت من مدام صمويل من التعنيف لفقد كلبها المدلل ما لقيته زميلتها !

فقالت مس كيبل :

– كانت سرقة كلبنا حادثة غريبة حقاً تمت في ثانية واحدة ، سألتني مربية معها طفل جذاب عن الوقت ..

فقاطعتها مدام صمويل قائلة :

– وبينما هي تتحدث مع المربية إذا باللص يقطع الطوق ويسرق تاكي بو .

وقالت مس كيبل وهي تكاد تبكي :

– كل هذا حدث في أقل من ثانية ، وعبثاً حاولت أن أجده ولا يزال الطوق معي ، أتريد أن تراه يا مسيو بوارو ؟

– كلا ! ولكنكم بعد ذلك تسلمتم خطاباً ؟

– لقد سارت تلك القصة في نفس الطريق الذي سارت فيه القصة الأخرى ولم تختلف عنها إلا في نقطتين ثانويتين . المبلغ ثلثمائة جنيه : والعنوان الكوماندور بلاكلي بفندق هارنجتون رقم ٧٦ بحدائق كلونميل كنسنجتن !

قالت مدام صمويل :

– وقد أرسلت المبلغ كاملا .

وقال بوارو مبتسماً :

– وبالطبع لم يكن هناك شخص بهذا الاسم ؟

واستطردت مدام صمويل :

– ولكن الحادث أزعج زوجي كثيراً !

فسألها بوارو :

– لعلك لم تستشيريه قبل إرسال النقود ؟

– كلا بالتأكيد .. لأن للرجال طباعاً عجيبة ، فهم يتشددون في مواقف يحسن فيها التساهل . ولو كنت أخبرته لأصر على إبلاغ البوليس وبهذا نفقد كلبنا العزيز إلى الأبد ، ولكنني أخبرته في النهاية بعد أن عاد الى تاكي بو سالماً معافى .

– حسناً .. حسناً !

ثم استطردت مدام صمويل تقول وهي تصلح من سوارها الماسي ، وتدير خاتمها الثمين في اصبعها :

– ولكنني لم اره في حياتي اكثر غصباً مما كان في ذلك اليوم ، لأن الرجال يركزون اهتمامهم في المال !

* * *

ذهب بوارو إلى مكتب السير جوزيف هوغين وبعث إليه ببطاقته .. وبينما هو في انتظاره إذا بفتاة شقراء تخرج من لدنه حاملة بعض الأوراق ، ومرت بجانبه وهي تنظر اليه شزراً !

كان السير هوغين يجلس إلى مكتبه الفخم وقد ظهر على ذقنه أثر من أحمر الشفاه :

قال لضيفه :

– اجلس يا مسيو بوارو . هل لديك أخبار تهمني ؟

وقال بوارو :

- المسألة واضحة كثيراً في حادثكم وحادث السير صمويل .. نقود ترسل إلى فندقين عامين ليس فيهما بواب أو حارس ، والمترددون عليهما كثيرون ، معظمهم من رجال الجيش المتقاعدين ، ومن السهل على أي فرد من المترددين أن يأخذ ما يريد من الخطابات أو ينتزع ما بداخلها من نقود ويردهـا إلى مكانها بعد أن يستبدل النقود أوراقاً بيضاء ، من غير أن يجد عيناً تراقبه ؟.

– هذا معناه إنك لم تستطع الاهتداء إلى اللص .

– كلا . ولكن الاهتداء يتطلب بعض الوقت ؟

فنظر اليه السير هوغين مندهشاً وقال :

– متى ستفيدني بالنتيجة ؟

– قريباً !:

– ولكني أعتقد انك كلما تعمقت في بحثك استعصى عليك الأمر ؟

– لا تخف من الفشل ، لأن بوارو لا يعرف الفشل .

فنظر اليه هوغين وهو يقرض بأسنانه قائلاً :

– هل أنت واثق من نفسك ؟

– كل الوثوق ..

– ولكن تأكد ان الغرور كثيراً ما يسبق الفشل .

* * *

قال بوارو لخادمه الخاص بنبرات تشيع فيها الثقة :

– أفاهم أنت يا جورج ؟

– نعم يا سيدي .

– يحتمل أن تكون شقة أو فيللا في مكان ما .. ويقع هذا المكان بالضبط في جنوب المنتزه وشرق كنيسة كنسنجتن وغرب قنطرة الفرسان وشمال طريق فولهام .

– أفهم ذلك حسناً يا سيدي ؟

ومضى بوارو يقول :

– لغز عجيب حقاً يحتاج حله إلى مهارة فائقة . هل أستطيع أن أبهر زبوني بعبقريتي الفذة ؟ ولكنه مع الأسف يشبه صانع الصابون بمدينة لياج الذي سمم امرأته ليتزوج بسكرتيرته الشقراء .. كانت مأساة ذلك

الصانع من القضايا التي نجحت فيها وأكسبتني شهرة واسعة .

فهز الخادم رأسه .

ثم غاب وهو يتصنع الجد والرزانة :

– هؤلاء الشقراوات يا سيدي هن السبب في معظم المتاعب ؟

* * *

بعد ثلاثة أيام جاءه جورج بالعنوان المطلوب مكتوبا على ورقة صغيرة فقال له :

– أنت مدهش يا جورج ، هل عرفت اليوم بالضبط ؟

– الثلاثاء يا سيدي ..

– عجبا .. من حسن الحظ أن اليوم يوافق الثلاثاء .. يجب ألا نتأخر .

وبعد نحو عشرين دقيقة كان بوارو يصعد الدرج في مبنى مظلم . بشارع متواضع .. ولما أحس بالتعب وقف ليستريح قليلا قبل أن يضغط على جرس الشقة رقم ١٠ ، ولكنه سمع من خلف الباب صوتا يقطع حبل السكون .. سمع كلبا ينبح بشدة .

هز بوارو رأسه وابتسم قليلا ..

ثم تقدم ليضغط الجرس ..

فازداد النباح قوة وانفتح الباب ..

كادت مس كارنابي تقع على الأرض وهي تدق صدرها من الدهشة والوجل ..

فقال بوارو :

ـ أرجو أن تسمحي لي بالدخول ..

ودون أن ينتظر منها رداً دخل غرفة الاستقبال .. وكان بابهـا مفتوحا ..

فتبعته مس كارنابي كأنها في حلم عميق .. غرفة صغيرة ولكنها مكتظة بالأثاث ..

كانت تتمدد على أريكة فيها إمرأة عجوز بالقرب من المدفأه ، وقفز من قربها كلب مدلل يحاول أن ينبح على الضيف الفضولي ..

ولكن بوارو عرفه وقال :

ـ لقد عرفت هذا الكلب ، وهذه السيدة هي اختك وأنت تأتين إلى هنا كل يوم ثلاثاء لأنه يوم إجازتك أليس كذلك ؟

وقالت مس كارنابي :

ـ نعم .. انها شقيقتي اميلي .

وحمل بوارو الكلب ووضعه على ركبته وقال

ـ أظن أن مهمتي اوشكت على نهايتهـا .. فقد وقع الأسد في قبضتي ؟

وقالت آمي كارنابي بصوت هادىء غليظ :

ـ هل علمت كل شيء حقا ؟

ـ اظن ذلك .. ويظهر لي انك المحور الذي تدور عليه هـذه الحوادث بمعاونة هذا الكلب المدعو اوغست .. فأنت تخرجين بكلب مخـدومتك .. وبدلاً من الذهاب به الى المنتزه تحضرين به الى هذه الشقة وتستبدلـين به الكلب اوغست .. حتى اذا سئل حارس المنتزه أو المربية اذا امكن العثور عليها قررا انك كنت تصطحبين كلبـا مدللا .. ولكنه في الحقيقة هـو هذا الكلب اوغست المتمرن على العودة الى هذا المكان بمفرده ، حـين تنتزعين طوقـه .. وبعد دقـائق تصيحين منزعجة بـأن كلبا مدللا

سرق منك ..

وبعد لحظة من الصمت لم تجد مس كارنابي بدأ من الاعتراف بالحقيقة .. فتظاهرت بالجد والكبرياء وقالت :

– نعم ! هذه هي الحقيقة ، وليس لدي شيء أقوله !

– لا شيء يا سيدتي ؟

– لا شيء .. فأنا لصة .. وقد وقفت الآن ، بين يدي العدالة !

– لا شيء تقولينه للدفاع عن نفسك ؟

فاحمر خداها فجأة .. وقالت :

– لست نادمة على ما فعلت وأنت رجل عطوف يا مسيو بوارو .. ولعلك أدركت اني مرتعبة خائفة !

– ممن تخافين ؟

– نعم . إنه لمن الصعب على الرجل الكريم ان يدرك حقائق الأمور .. فها أنذا يا سيدي إمرأة ساذجة لا أعرف مهنة تقيني شر العوز .. وقد أوشكت أن تتقدم بي السن . ولذا تراني دائمة الاشفاق من مستقبلي المظلم ، لم أدخر له مالاً ينفعني ويقيم أود أختي اميلي . وكلما كبرت نفر مني الرجال ولم يتقدم إلي من يطلب يدي .

وأمثالي ممن تاه عليهن البؤس بكلكله كثيرات لا يجدن أجور الغرف الحقيرة التي يسكنها .. واست أنفي ان الدولة قد أنشأت بعض الملاجىء .. لكن دخولها لا يتيسر إلا عن طريق ذوي النفوذ الذين لا يعرفهم غير القليل .. ولهذ تجدني يا سيدي دائمة الخوف مما ينتظرني .. كثيرة الاشفاق على مستقبلي المنكود ؟

وهنا شعرت بصوتها يضطرب .. فتجلدت وقالت :

– ولعلك عرفت يا سيدي ان هذه الكلاب المدللة المعروفة باسم الباكينيز

تتشابه كلها في الشكل والحجم ، وربما يصعب على أشد الناس فطنة أن يميز بينها . ومن يستطيع مثلاً ان يفرق بين أوغست وتانكي بو وشانتنج ؟ اليس هذا الكلب أوفر ذكاء وأجمل منظراً من الآخرين ؟ ولهذا نبتت لدي الفكرة ، بفضل أوغست ، الذي يقتني أخواته كثير من السيدات الموسرات !

فقال بوارو وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة :

– لا شك إنها فكرة شيطانية ، وعمل مربح .. كم درت عليك هذه اللعبة ؟

قالت مس كارنابي ببساطة :

– قد أكمل شانتنج عدد الكلاب المخطوفة ستة عشر !

– إذن فأهنئك على إحكامك لطريقتك المدهشة !

قالت آمي كارنابي :

– كان أبي يقول دائماً اني أجيد رسم الخطط المحكمة

فانحنى بوارو قليلاً وقال :

– نعم .. لأنك في الإجرام تتبوأين مركز الصدارة !

– الإجرام ؟. غير اني لا أشعر بأنني ارتكبت جريمة .

– ماذا تستشعرين إذن ؟

ردت مس كارنابي :

– الحق معك يا سيدي . لأن في هذا العمل خرقاً للقانون . ولكني مع ذلك أستطيع ان أبرر لك موقفي بأن جميع السيدات اللائي يستخدموننا من أمثال الليدي يتسمن بالقسوة والخشونة . فمخدومتي مثلاً لا تعبأ بما تقول وتغلظ لي القول ، وأكون مضطرة بالطبع إلى التزام الصمت مع كبت شعوري بالحرج والضيق .

قال بوارو :

– نعم اني أفهم ما تقولين

وعادت مس كارنابي تقول :

– وأخيراً أرى الأموال تتبعثر هنا وهنـــاك بغير حساب . وأسمع أحياناً سير جوزيف هوجين يتحدث عن أساليبه في كسب أمواله الطائلة .. فأرى فيها على قدر فهمي طرقاً غير شريفة ، لهذا ظننت ان مائتي جنيه مبلغ يسير لن يضيره !.

قال بوارو :

– أرجو ان تخـبريني يا مس كارنابي عما إذا كنت قد نفـذت في حياتك عبارات التهديد التي استعملتها في خطاباتك ؟

– تهديد ؟

– هل اضطررت إلى تشويه أجساد الحيوانات ، على نحو ما ذكرت في رسالتك ؟

فنظرت اليه مس كارنابي بانزعاج وقالت :

– كلا .. لم أفكر في ذلك مطلقاً .. تلك العبـــارة كانت مجرد لمسة فنية .

– نعم ، فنية جداً .

– كان أوغست هو وسيلتي الوحيدة ، كما كنت بالطبع واثقة من أن هؤلاء السيدات لن يخبرن أرواجهن بالخطابات إلا بعد دفع المبالغ المطلوبة .. وهكذا نجحت طريقتي بسهولة .

ففي تسع حالات من عشر ، كانت تذهب الوصيفة او المرافقة بالخطاب وبداخله النقود إلى مكتب البريد ، فنفتحه بالبخار ونأخذ منه النقود ونضع بدلها ورقة بيضاء ونعيده الى البريد ثانية ، وفي حالتين او ثلاث .. كانت السيدة تذهب بنفسها إلى مركز البريد ، وعندئذ تتوجه الوصيفـة الى الفندق لتسلم الخطاب ، من مكانه المعروف .. فالمسألة ، كما ترى ، جد

بسيطة .

– ومسألة المربية والطفل كيف كانت تتم ؟

– المعروف يا مسيو بوارو ، ان العوانس مغرمات بالأطفال . فليس بدعاً ان تنسى الوصيفة كل شيء ، إذا صادفها طفـــل ظريف ، ولن تتهم أبداً بالتواطؤ والاهمال .

فتنهد بوارو وقال :

– أنت على جانب عظيم من الفراسة والذكاء وحسن التدبير ، وتعرفين كيف تقومين بتمثيل أدوارك بكل اتقان ، حتى ان الليدي لم تجد عليك أي مأخذ عند مقابلتي لكما ، فلا تأسفي من عدم تعلمك مهنة تقيك شر العوز ، فقد منحتك الطبيعة ذهنا صافياً وشجاعة نادرة .

فابتسمت مس كارنابي وقالت :

– ولكني مع ذلك لم أفلت من يد العدالة .

– لا يمكنك ان تفلتي من يدي طبعاً . وعندما قابلت مدام صمويل تأكدت من أن سرقة شانتنج ما هي إلا حلقة في سلسلة واحدة من الجرائم ، وعرفت بالبحث أن لديك كلباً من نوع الباكينيز وانك تعولين اختاً مريضة ، فطلبت من خادمي ان يبحث في دائرة محدودة عن شقة تقطنها سيدة مريضة تقتني هذا الكلب وتزورها أختها مرة كل أسبوع .

فهمت مس كارنابي بالوقوف وهي تقول :

– قد أودع الله في قلبك رحمة وفي رأسك حكمة . فهل لي ان أسألك وقد أصبح لا مفر لي من السجن عدم نشر أي شيء عن قضيتي لأن هذا سيؤذي اختي اميلي ويضر بسمعتنا لدى معارفنا القدماء .. ولهذا أقترح الذهاب الى السجن باسم مستعار ، وأرجو ألا أكون مخطئة في هـذا الرجاء ؟

قال بوارو :

- بل أظن اني سأفعل ما هو أكثر تسامحـاً .. على شرط أن اضمن ان حوادث اختفاء الكلاب لن تتجدد منذ الآن وبعد ذلك اعتبر ان كل شيء قد انتهى .

نعم .. نعم يا سيدي !

- أما النقود التي أخذتها من الليدي فيجب أن ترد اليها !

فأسرعت مس كارنابي إلى مكتبها وفتحت الدرج وعـادت بالنقود وسلمتها له .

فوضعها في جيبه بعد أن اطمأن إلى صحة عددها وقال :

- أرجو أن اتمكن يا مس كارنابي من اقناع السير جوزيف بعدم السير في الدعوى ضدك ؟

- أوه يا مسيو بوارو !

وهنا صاحت اميلي المريضة صيحة فرح واطمئنان ..

وأخذ أوغست يبصبص بذنبه جدلاً مستبشراً ، فوجـه اليه بوارو كلامه قائلاً :

- أرجو ان تعيرني شيئاً واحداً يا عزيزي هو ذلك الرداء السحري الذي يحجبك عن أعين الناس ، لأنه يلزمني في عملي الشاق المضني .. فمن كان يظن أنك تلبس « طاقية الاخفاء » لتقوم بدورك الغامض في هـذه القضية العجيبة بدون أن يراك احد ؟

فقالت مس آمي كارنابي

- ليس هذا بعجيب . فقد علمتنا الأساطير ان كلاب الباكنـيز قد انحدرت من أصلاب الأسود ، وانها ستظل محتفظة بما ورثته عن أجدادها من شجاعة وقوة !

وقال لها المستر بوارو :

- أظن أن أوغست هو الكلب الذي تركته لك مدام هـارتنجفيلد

وقد أشمت عنه انه مات ؟ افلا تخافين عليه من عودته وحيداً في هـذا الزحام ؟

– كلا يا سيدي ، فقد اصبح اوغست ماهراً في اجتناب أخطار الطريق وقد دربته على التزام طريق واحد لا يتخطاه !

– لا شك انه ، في هذه القضية بالذات ، قـد تفوق بذكائه على الآدميين ..

* *

قال السير هوغين وقد استقبل بوارو :

– ارجو ان تكون قد وصلت إلى نتيجة .

فأجابه بوارو وهو يهم بالجلوس :

– لي عندك رجاء ، قد عرفت اللص وتوفرت عندي الأدلة على إدانته ، ولكني أشك كثيراً في إمكان حصولنا على النقود منه .

فاحمر وجه السير هوغين وقال :

– لن نحصل منه على نقودنا المغتصبة ؟

فاستمر بوارو قائلا :

– أنا لست من رجال البوليس ، ولكني مخبر خــاص ، أقوم بمهمتي لحسابك الشخصي ، ولهذا اظن انه يمكنني ان اسـترد نقودك من اللص لو انك تعهدت لي بعدم مقاضاته !

– آه . ولكن هذا يتطلب شيئاً من التفكير .

– إن المسألة تهمك شخصياً وحلها بين يديك ، أما إذا نظرنا اليها من الناحية العامة . فاحترام القانون والنظـام يقتضيك الاستمرار في هذه

القضية .

– ولكني اكره ان يقول النـــاس .. ان لصاً غرر بي واغتصب أموالي ؟ .

– ماذا ترى إذن ؟

فضرب السير هوغين بقبضة يده على المنضدة وقال :

– ولكني سأعرف كيف أموه على الناس ، فلن يعرفوا حقيقة المبلغ الذي سلب مني .

فنهض بوارو وسار نحو منضدة ليكتب شيكاً بمبلغ مائتي جنيه .. ثم سلمه للسير هوغين ..

فسأله هذا بصوت خافت :

– حسناً ! ولكن من يكون هذا اللص ؟

فهز بوارو رأسه وقال :

– ما دمت قد قبلت النقود ، فليس من حقك أن تسألني عن اللص !

فطوى السير هوغين الشيك ووضعه في جيبه ، وقال :

– شكراً . شكراً .. النقود هي الهدف الذي نسعى اليـه ، ولكن بكم تظنني مديناً لك ؟

– لن يكون أجري عـــالياً ، لأن القضية كما قلت لك بسيطة ومعظم القضايا التي أقبلها في هذه الأيام من نوع القتل والجرائم الفظيعة !

وقال السير هوغين .

– لأنها قضية شيقة رغم فظاعتها .

فقال بوارو :

– قد تكون هذه القضايا زاخرة بالغرابة والمفاجآت . ولكنك تذكرني ببطل جريمة وقعت منذ سنتين في بلجيكا لشدة الشبه بينكما .. كان صاحب مصنع للصابون .. وسمم زوجته ليتزوج بسكرتيرته الحسناء .. نعم إن الشبه

بينكما غريب جداً ..

ماتت الكلمات في فم السير هوغين وحالت شفتاه إلى لون أزرق وهرب دمه وجحظت عيناه وغاص في كرسيه حتى كاد ان يختفي فيه ..

وأخيراً ادخل يده المرتعشة في جيبه وتناول الشيك ومزقه إرباً إرباً وقال :

ـ اظن ان كل شيء انتهى ، إعتبر المبلغ اجراً لك ؟ ولكن أجرى لا يكون كبيراً إلى هذا الحد ..

ـ حسناً . ولكني تبرعت لك به ..

ـ سأوزعه على المعوزين ..

ـ إفعل به ما تشاء ..

فأحنى بوارو رأسه قليلا وقال :

ـ أرجو يا سير جوزيف ان تكون اكثر حذراً لخطورة مركزك ..

وقال السير جوزيف بصوت خافت :

ـ لا داعي لهذا التحذير ، فسأكون أكثر حذراً مما تظن ..

وخرج بوارو وهو يتمتم لنفسه :

ـ اظن ان تصرفي كان سليماً .

* * *

سألت الليدي زوجها :

ـ ما لهذا الدواء قد تغير طعمه ولم تعد له المرارة التي كنت استشعرها من قبل ؟

فرد السير جوزيف

ـ لأن الصيادلة قوم مهملون ، في كل مرة يتغير تركيبهم لنفس الدواء .. فنراه مختلفاً من حين لآخر ؟

فأجابت في غمرة من الشك :

ـ أظن انه الدواء الحقيقي هذه المرة ..

ـ طبعاً هو الدواء الحقيقي ، اي شيء آخر تظنينه ؟

ـ هل وصل الرجل إلى نتيجة في مسألة شانتنج ..

ـ نعم . انه احضر أموالي كاملة ؟

ـ من هو ذلك اللص الأثيم ؟

ـ لم يشأ أن يفضي إلي بحقيقته .. بوارو شخص غامض ، وعلى كل حال لا تهتمي لهذه المسألة .

ـ إنه على ضآلة جسمه شخص ظريف .

فشعر السير جوزيف برعشة تهز بدنه فأشاح بوجهه لأن ذكر بوارو جعله يتصوره أمامه بلحمه ودمه .

ثم تجلد وقال :

ـ إنه قزم ماهر ..

وقال في سريرة نفسه :

ـ فلتذهب جريتا إلى حال سبيلها ، أما انا فلن اقدم رقبتي بعد اليوم إلى حبل المشنقة من أجل غانية شقراء ؟

* * *

ـ أوه ..

حملقت آمي كرنابي في الشيك بمبلغ مائتي جنيه وهي لا تكاد تصدق عينيها ثم قالت .

ـ اميلي .. اميلي .. اسمعي :
« عزيزتي مس كارنابي ..
ـ اسمحي لي ان اقدم لك هذه المنحة المرفقة طيه ..

وقالت اميلي :
ـ المخلص هركيول بوارو ..
ـ انك سعيدة الحظ يا آمي ، تصوري ماذا كان سيصبح مصيرك الآن ؟
ـ كل شيء قد انتهى الآن .. اليس كذلك يا أوغست ؟ لن تذهب بعد الآن إلى المنتزه معي او مع اية واحدة من صديقاتي وبصحبتنا المقص المعروف
وغامت عيناها قليلاً وتنهدت ثم قالت :
ـ ولكنني اشفق عليك يا عزيزي اوغست لمهارتك وذكائك ويحسن ان اروضك على شيء آخر

- ٢ -

جريمة ولا جريمة

نظر بوارو إلى الرجل الجالس أمامه .

انه الدكتور تشارلس اولدفيلد . في الأربعين من عمره ، رمادي الشعر ذو عينين زرقاوين لا تكادان تستقران في محجريهما ، تردد قليلاً قبل أن يتكلم ، ثم قال :

– قد حضرت اليك ، يا مسيو بوارو برجاء غريب .. ويحسن أن أفضي اليك هنا بكل شيء ، لأني متأكد من أن مسألتي تكاد تكون مستعصية !.

قال بوارو :

– ما دام الأمر كذلك دعني أرى وأحكم !.

قال الدكتور اولدفيلد :

– لا أدري لماذا ظننت ذلك ، فربما ..

فأتم له بوارو كلمته قائلاً :

– ربما ، أتمكن من مساعدتك .. حسناً .. أخبرني عن مسألتك ..

فاعتدل الدكتور اولدفيلد وقال :

- لا فائـدة من ان يلجأ الانسان إلى البوليس . فكثيراً ما يفشل رجاله في القضايا الهامـة ، ولكن كل يوم يمر علينا تزداد الحالة سوءاً ..

- ما هي تلك الحالة التي تزداد سوءاً ؟

- الإشاعات يا سيدي تزيد موقفي حرجاً . فمنذ عام تقريباً ماتت زوجتي بعد مرض عضال ، لازمها سنين عديدة .. ولكن الناس يشيعون اني قتلتها بالسم !

قال بوارو :

- آه .. لكن هل دسست لها السم ؟

فنهض الدكتور أولدفيلد مذعوراً وقال :

- مسيو بوارو ..

- هون عليك . واجلس وسنبحث كل شيء ، أنت لم تدس السم لزوجتك أظن ان مقر عملك في الريف ؟

- نعم في لوجبرو بمقاطعة بركشير .. أكثر الأمكنة صلاحية للاشاعات ، حيث تنمو وتكبر وتتضخم في سهولة ويسر .

واقترب الدكتور بكرسيه قليلا واستمر يقول :

- ليست لديك فكرة واضحة يا مسيو بوارو عما أعانيه .. فإني لم أقم وزناً لما كنت أسمعه في اول الأمر . ولكن كلما مرت الأيام ازداد نفور الناس مني . وفي الشارع أرى العابرين يحاولون تجنبي ، وأصاب مهنتي الكساد والبوار . وأينما ذهبت وجدت الناس يتهامسون وينظرون إلي شزراً قائلين بصوت أكاد أسمعه : إنني سفاك أثيم .. وأخيراً وصلني خطاب تهديد او خطابان ..

ثم صمت قليلا وعاد يقول :

- لا أدري ماذا أفعل إزاء هذه الحالة ، ولا كيف أحارب هـذه الأكاذيب . كيف يدحض الانسان أقوالاً لا يواجهه بها مخترعوها .. إني ضعيف أعزل .. وقد تكسرت النصـال على النصال ، وأثخن قلبي بالجراح .

فهز بوارو رأسه وقال :

- نعم ، الإشاعات في الحقيقة تشبه أفعوان ليرنيا ذا السبعة رؤوس .. كلما قطعت رأساً نبت في مكانه رأسان .

قال الدكتور اولدفيلد :

- هذه هي الحقيقـة .. ولهذا تراني قـد عجزت ، وأسقـط في يدي ، ولذلك لجأت اليـك في النهاية . ولكنني لا أزال ضعيف الأمل في النجاح !

فصمت بوارو لحظة ثم قال :

- لست متأكداً إذا كنت سأجد في قضيتك ما يحفزني على الاستمرار في تحقيقها . ولكنني أشعر برغبة قوية في الفتك بهذا الأفعوان الخطير الذي يؤرقك . أخبرني قبل كل شيء ، عن الظروف التي ساعدت هـــذه الاشاعات على الانتشار ؟ فقد ماتت زوجتك منذ عام تقريباً ؛ فما هـو سبب وفاتها ؟

- قرحة في المعدة .

- هل تم فحص الجثة ؟

- كلا ، لأنها كانت تعاني هذا المرض منذ أمد طويل .

فهز بوارو رأسه وقال :

- إن الشبه قريب جداً بين أعراض التسمم بالزرنيخ وأعراض قرحـة المعدة ، وهذه حقيقة لا يكاد يجهلها أحد في هذه الأيام .. وفي العشر سنوات الأخيرة حدثت أربع وفيات وتم الدفن من دون معارضة او شبهة لوجود

شهادات طبية جاء فيها ان الوفاة كانت بسبب قرحة في المعدة . هل كانت زوجتك أكبر منك سناً ؟

ـ كانت تكبرني بخمس سنوات .

ـ متى تزوجتما ؟

ـ منذ خمسة عشر عاماً .

ـ هل كانت تملك ثروة ؟

ـ نعم كانت غنيـة .. وقد بلغت تركتها ، حوالي ثلاثـين الف جنيـه ..

ـ تركة هائلة .. وقد آلت اليك طبعاً .

ـ نعم ..

ـ هل كنتما على وفاق أثناء حياتها ؟

ـ بالتأكيد .

ـ ألم يحدث بينكما شجار ؟

قال الدكتور أولدفيلد بعد تردد قليل :

ـ كانت زوجتي قوية المراس ، خشنة الطبع . وكانت بالنسبة لمرضهـا لا يعنيها في الدنيا إلا صحتها ، ولهذا كانت دائمة الغضب تتصور جميع أعمالي أحياناً بعيدة عن الصواب .

قال بوارو :

ـ آه .. قد فهمت ، ربما كانت تشكو من إهمالها وعدم تقديرها ، وإن زوجها تعب من طول مرضها واصبح يتمنى لها الموت .

فلاحت على محيا الدكتور اولدفيلد إمارات التأكيد لهذا الاستنتاج وقال وهو يبتسم :

ـ اصبت يا مسيو بوارو

فاستطرد بوارو يقول :

ـ هل كان لديها ممرضة تعنى بأمرها .

ـ نعم ، ممرضة ماهرة ، وقليلة الكلام ، ولا تحب التدخـــل في غير عملها !

ـ ولكنها إمرأة فحسب ، ومهما كان ظاهرها يدل على الرزانة والصمت فهي تحب الكلام . لأن الطبيعة أرادت لها ذلك ، ولا بد للثرثارة أن تخطىء فالممرضة تثرثر ، والخادم يثرثر ، حتى تجد هذه الثرثرة طريقها المعبد إلى اوشاب القرية وغوغائها .. هـــل يمكنني ان اعرف من هي السيدة الأخرى ؟

فلاح الغضب على محيا الدكتور اولدفيلد وقال :

ـ اكاد لا افهم قصدك ؟

قال بوارو بهدوء :

ـ اظن انك تفهم . من هي السيدة التي اقترن اسمها باسمك ؟

فنهض الدكتور اولدفيلد وهو محتقن المحيا وقال :

ـ ليس في القضية اي ظـل لامرأة .. وانا آسف ، يا مسيو بوارو ، لإضاعة وقتك .

ثم اتجه إلى الباب فقال بوارو :

ـ وانا آسف ، ايضاً ، لأنه يهمني ان اساعـدك ، بشرط ان تخبرني بالحقيقة .

ـ قد اخبرتك !.

ـ كلا .

فوقف الدكتور اولدفيلد والتفت اليه وقال :

ـ لماذا تصر على وجود سيدة في هذه القضية .

ـ اتظن يا سيدي الطبيب اني اجهل عقلية النساء ، وان الإشاعات في القرى لا تروج إلا حول العلاقات الجنسية . فاذا سمم الرجل زوجته مثـــلا

ليقوم برحلة إلى القطب الشمالي وحيداً ، لا يكدر صفوه شيء ، لم يهتم بالأمر احد . اما إذا كان في نيتـــه ان يتزوج إمرأة اخرى فإنه يصبح في نظر عشيرته بغيضاً آثماً ، وتستشري الاشاعة ، ويشب قرتاها ، هذه ظاهرة نفسية عامة .

قال الدكتور اولدفيلد :

ـ لا يهمني ما يجول في أذهان هؤلاء الأوغاد .

رد بوارو :

ـ عد إذن واجلس واجب على سؤالي .

فعاد الدكتور اولدفيلد ببطء الى مكانه وقال

ـ أظنهم تناولوا في أحاديثهم الخرقاء مس جان مونكريف الفتاة الظريفة التي تعمل معي في العيادة .

ـ هل لها في خدمتك وقت طويل .

ـ ثلاث سنوات تقريباً .

ـ أكانت زوجتك تحبها :

ـ لا ، لا اظن .

ـ هل كانت تغار منها .

ـ كانت من هذه الناحية في منتهى الغموض !

فابتسم بوارو وقال :

ـ غيرة الزوجات من الأمور الشائعة ، وقد علمتني التجارب ان الغـيرة لا توجد عندهن من دون أسباب حقيقية ، وبالمثل تكون غيرة الرجـــال على زوجاتهم ، فلا بد للغيرة عند الجنسين من وجود دوافع قوية فلا دخان من غير نار ، واقل شبهة تؤدي إلى حقائق مروعة .

قال الدكتور اولدفيلد :

ـ ولكنني ، لم أقل لجان مونكريف ابداً كلاماً يضيرني ان تسمعه

زوجتي .

ـ ربما ، ولكن ذلك لا يغير من الحقيقة التي ذكرتها لك .

وانحنى بوارو الى الأمام قليلاً وقال وهو يضغط على كلماته :

ـ سأبذل قصارى جهدي في قضيتك يا دكتور ، ولكن يجب ان تصارحني بكل شيء ، فهل كان حقاً انك اهملت العناية بزوجتك قبل موتها .

فصمت الدكتور اولدفيلد لحظة ثم قال :

ـ اظن انك ستصنع شيئاً من اجلي يا مستر بوارو ، ولهذا سأتوخى معك الصدق والأمانة والحق اني لم اعن بزوجتي كما يجب ، كنت لها زوجا طيبا ولكنني لم اشعر نحوها بحب حقيقي .

ـ وهذه الفتاة جان .

فتفصد جبين الطبيب بالعرق وقال :

ـ ربما كنت تزوجتها لولا هذه الشائعات الوقحة .

قال بوارو

ـ قد وضحت لي قضيتك الآن يا دكتور وسأتولاها ، ولكن يجب الا تنسى أنني سأقوم بالبحث والتحقيق .

فرد الدكتور اولدفيلد :

ـ اخشى ان يؤذيني بحثك .

ثم صمت لحظة كالمتردد وقال :

ـ إني ، في الواقع ، لا استطيع ان اتهم شخصا معينا .. ولهذا اخشى ان تقع التهمة ، على عاتقي انا ، واصبح في مركز اسوأ مما انا فيه الآن .

ثم حملق في وجه بوارو وتابع :

ـ ارجو ان تخبرني ، بصراحة تامة ، عما إذا كان يوجد مخرج من هذه الورطة .

فقال بوارو :

ـ لا بد من إيجاد مخرج .

* * *

قال بوارو لخادمه الخاص :

ـ سنذهب الى الريف يا جورج .

ـ احقا يا سيدي .

ـ مهمتنا هذه المرة هي تحطيم افعوان له سبعة رؤوس .

ـ يخيل الي انه افعوان خطير يا سيدي .

ـ لا اقصد الأفعوان من حيث هو دم ولحم .

ـ اني لا افهم ماذا تعني يا سيدي .

ـ كنت اتمنى لو كان هدفنا افعوانا حقيقيا ، ولكن عدونا هذه المرة شيئا مجهولاً خلق جواً من الشائعات القاتلة .

ـ نعم ، من الصعب يا سيدي ان يعرف الانسان كيف تنشأ هذه الأشياء وتبدأ وجودها . .

* * *

لم يذهب بوارو الى منزل الدكتور اولدفيلد بل قصد الى فندق عام . وفي صبيحة يوم وصوله قابل جان مونكريف .

كانت فتاة هيفاء نحيلة القد ، ذهبية الشعر زرقاء العينين تبدو على ملامحها اليقظة والانتباه ، قالت :

ـ قد ذهب اليك الدكتور اولدفيلد كما علمت .

فقال بوارو :

ـ وأنت ألم تستحسني ذلك ؟

فالتقت عيناها بعينيه ..

وقالت ببرود :

ـ ما الذي يمكنك أن تفعله ؟

ـ توجد طريقة واحدة للكلام في هذا الموضوع

ـ أية طريقة ؟ هل تعني انك ستحاول الذهاب إلى جميع عجائز القرية لترجوهم الكف عن ترويج هذه الشائعات لأنها تضر بالدكتور اولدفيلد ؟ ربما يجبنك بأنهن لا يصدقن الحكاية ، ولكن سبب وفاة مدام اولدفيلد يدعو إلى الريبة ، أو يقلن انهن لا يتهمن الدكتور بسوء إلا لسبب واحد هو إهماله لزوجته واستخدامه لفتاة صغيرة ..

فقال بوارو :

ـ يخيل الي انك تعرفين جيداً ما تلوكه الألسن ؟

فضغطت شفتيها ثم قالت :

ـ نعم أعرف كل شيء !

ـ وما هو الحل الذي تريته لهذه المسألة ؟

فقالت جان مونكريف :

ـ الحل الوحيد هو أن يبيع عيادته ويرحل عن القرية !

ـ ألا تظنين ان الشائعات ستتبعه حيثما ذهب ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ـ يجب أن يقدر ذلك !

فصمت بوارو قليلا ..

ثم قال :

ـ هل ستتزوجين الدكتور اولدفيلد ؟

فلم تدهش لهذا السؤال وقالت :

ـ لم يطلب مني ذلك !

ـ لماذا ؟

فرنت اليه بعينيها الزرقاوين وقالت :

ـ لأني صدمته !

ـ من أكبر النعم أن يجد الانسان شخصاً في صراحتك .

ـ سأكون صريحة معك أكثر مما ينبغي ، حين علمت أن الناس أخذوا يشيعون ان الدكتور تخلص من إمرأته ليقترن بي أدركت أن زواجنا سيحقق حدس الناس وتخمينهم ولهـذا رجوت الدكتور ألا يجري بيننا حديث عن الزواج لتموت الشائعات قبل أن تبيض وتفرخ ..

ـ ولكن الشائعات لم تمت ؟

ـ كلا !

فسألها بوارو :

ـ هل تحبين الزواج من الدكتور ؟

ـ نعم .

ـ إذن فقد كان موت إمرأته مفيداً لك ؟

فقالت جان :

ـ لقد كانت مدام اولدفيلد سيدة بغيضة لا تسر من يعاشرها ولا اكتمك اني سررت كثيراً لموتها ؟

وقال بوارو

ـ أنت صريحة اكثر من اللازم ؟

فابتسمت جان ابتسامة تمتزج بالاحتقار .

وقال بوارو :

ـ لدي اقتراح

ـ نعم . .

ـ المسألة تحتاج إلى عمل سريع حاسم ، اقترح أن يقدم بلاغ من أي شخص ولتكوني أنت مقدمة هذا البلاغ إلى وزارة الداخلية .

ـ ماذا تعني بهذا الاقتراح الخطير ؟

ـ أعني اننا نريد قطع دابر هذه الشائعات بطلب تشريح الجثة .

فتراجعت الفتاة خطوة إلى الوراء وفغرت فاها .

وقال بوارو

ـ حسناً يا آنستي ؟

فقالت جان بهدوء

ـ ولكني لا أوافقك .

ـ لماذا ؟ إذا أثبت التشريح ان الوفاة طبيعية خرست الألسنة .

ـ هذا إذا أمكن الاثبات .

ـ هل تعلمين يا آنستي ماذا تعنين ؟

فقالت جان في شيء من الاضطراب :

ـ إني أفهم ما أقول ، فأنت تظن ان الوفاة حدثت من تسمم بالزرنيخ ولكن يوجد نوع آخر من السم لا يظهر أثره بعد مضي عـــام كالقلويات النباتية مثلا . . فإذا قال الأطباء بعد التشريح انهم لم يهتـدوا إلى سبب الوفاة . فماذا تكون النتيجة ؟ ستنطلق الألسنة من عقـالها اكثر من ذي قبل ؟

فصمت بوارو قليلا ، ثم قال :

ـ من تظنين أطول الناس لساناً في هذه القرية ؟

وأخذت جان تفكر قليلا . .

ثم قالت :

ـ أظن انها المس ليتران السيدة العجوز . فهي أخطر مروجـة للشائعات .

ـ هل يمكنك ان تسهلي لي مقابلة المس ليتران ؟

ـ نعم ، وخصوصاً في هـذا الوقت من الصباح حيث تخرج نساء القرية لشراء حاجاتهن .

ولم يكن في الأمر أية صعوبة كما قالت جان ..

فانها وقفت فجأة أمام مكتب البريد وراحت تتكلم إلى سيدة طويلة حادة الأنف براقة العينين قالت :

ـ طاب صباحك يا مس ليتران .

ـ طاب صباحك يا جان ، الجو صحو اليوم ..

وأخذت السيدة تصوب عينيها الفاحصتين نحو الشخص المرافق لجان .. فقالت هذه :

ـ أقدم اليك مستر بوارو نزيل قريتنا لبضعة ايام .

* * *

وسألته مس ليتران ذات يوم ، بدافع الفضول ، عن سبب إقامته في القرية .

فوجد بوارو أن الفرصة سانحة للكلام فقال :

ـ اعتقد انك سيدة ماهرة يا مس ليتران ، لأنك استطعت ان تستنتجي السبب في وجودي هنا ، لقد حضرت بناء على طلب وزارة الداخلية

ثم خفض صوته قائلا :

ـ ولكن أرجوك الا تبوحي بهذا السر لأي إنسان .

فقالت مس ليتران :

ـ طبعاً ، طبعاً .. وزارة الداخلية ، ولكنكم لا تقصدون مس أولدفيلد ؟

فهز بوارو رأسه عدة مرات ، ثم قال :

ـ إن الموضوع جد خطير ، وقد امرتني الوزارة بالتحري عما إذا كانت المسألة تحتاج إلى اخراج الجثة لتشريحها .

فقالت مس ليتران وهي منزعجة :

ـ يا للفظاعة ، ستنبشون القبر لاخراج رفات بالية ؟

ـ ما رأيك يا مس ليتران ؟

ـ لقد لاكت الألسنة هذا الموضوع كثيراً يا مستر بوارو ولكني لا اصدق كل ما يقال ، غير ان موقف الدكتور اولدفيلد فريد في بابه ولا نستطيع ان نفسر اسباب حزنه فلعله شعور بالذنب ، وعلاقته مع زوجته لم يعرفها أحد ، ولكن الممرضة هاريسون خدمت مس اولدفيلد أربع سنوات ، وربما تعرف عنها الكثير ، وهي وإن لم تكن قد خاضت في هذا الموضوع ، الا ان الانسان يستطيع ان يقرأ في ملامحها بعض الأسرار .

فقال بوارو في حزن واسى :

ـ ولكننا لن نصل إلى كبد الحقيقة .

ـ لا شك انكم إذا اخرجتم الجثة فستعرفون كل شيء

ـ نعم ستنكشف لنا الحقيقة ..

ـ لقد مرت بكم قضايا مشابهة طبعاً كقضية ارمسترنج وقضية ذلك الرجل الذي لا اذكر اسمه الآن وقضية كريبون وغيرها ، ولكن جان مونكريف فتاة ظريفة طبعاً ، ولا اظن انها قد دفعته إلى ارتكاب فعلته ، ولكن الرجال يفقدون صوابهم حين يحبون وطبعاً تكون النتيجة وبالاً على العاشق والمعشوق .

كان بوارو ملتزماً الصمت يفكر في كيفيـــة استخلاص أكبر قسط من حديث هذه المرأة ويسلي نفسه باحصاء كلمة طبعاً التي تلازم حديثها ثم استمرت تقول :

– وطبعاً يعرف الخدم كثيراً من أسرار البيوت . اليس كذلك ؟ ومن الصعب ان يمنعهم الانسان من ترويج بعض الشائعات ! وقد طردت بياتريس عقب وفاة سيدتها ، وهذه غلطة أخرى ارتكبها الدكتور ، خصوصاً في هذه الأيام التي يصعب فيها الحصول على خادمات .

وقد زادت هذه المسألة شكوك الناس وظنونهم بأن طرد الفتاة قد حدث للتخلص منها !

فقال بوارو بهدوء :

– يخيل إلي ان طريق البحث صار ممهداً !

فبدت على مس ليتران علامات الندم وقالت :

– لكن الانسان يشعر بالاضطراب من هذا الموضوع ، فستتناول الجرائـد قريتنا الهادئة المطمئنة بالتجريح والتنديد .

– هل هذا يزعجك ؟

– طبعاً ، لأني كما تعلم إمرأة محافظة .

– ولكن ، المســألة لا تخرج عــن كونها إشاعات باطـلة ، كما تقولين !

– ولكن إرضاء لضميري اقول انه يوجـد فيها ظل من الحقيقة ، ولا دخان من غير نار !

فقال بوارو :

– وأنا شخصياً كان يحول بخاطري هذا الظن .

ثم نهض واقفاً وقال لمس ليتران :

– هل يمكنني ان أثق في التزامك الكتمان يا آنسة ؟

ـ أوه ، طبعاً ! لن أقول كلمة لأي مخلوق .

فاستأذن بوارو وهو يبتسم ، ثم وقف عند الباب ، ليتناول معطفه وقبعته وقال :

ـ قد نزلت بهذه القرية للتحري عن ظروف وفاة مدام أولدفيلد وأكون شاكراً لو احتفظت بهذا النبأ سراً خاصاً لك .

ـ ولكن أرجـــو ألا تشركني في هذا الموضوع . بياتريس تعرف كل شيء .. وقد كانت تخدم في منزل الدكتور اولدفيـلد عندما ماتت زوجته

فقال بوارو بصوت أجش رصين :

ـ لعلها ظنت أن في الأمر جريمة ؟

ـ نعم . وهي تقول ان الممرضة هاريسون ، كانت تشـــاركها في هـذا الظن . وقد كان الود متصـلاً بين الثلاث : الخادم وسيـدتها والممرضة . وكانت الأخـــيرة أول من قلب ظهر المجن للدكتور ، بسبب وفاة زوجته .

ـ أين الممرضة هاريسون الآن ؟

ـ إنها تعمل عند مسز بريستو العجوز داخل القرية .

ولم يمض وقت قصير حتى كان بوارو جالساً امام المرأة التي تعرف أكثر من غيرها الظروف التي أدت إلى هذه الشائعات

كانت مس هاريسون لا تزال على شيء من الجمال ، وإن لم تكن قد جاوزت الأربعين ، في قسماتها دلائل الجد والرزانة ، وفي عينيها الداكنتين بريق الذكاء .

أخذت تصغي اليه بهدوء وانتباه ثم قالت :

ـ نعم ، قد سمعت تلك الشائعات التي تتناقلها الألسنة وحاولت أن أضع حداً لها ، ولكن بدون جدوى !

قال بوارو :

– ألا تظنين يا مس هاريسون ، انه توجد أسباب ساعدت على انتشار هذه الشائعات ؟

فلاحظ بوارو ان شعورها بالأسى قد صار أكثر وضوحاً ، ولكنها هزت رأسها في دهشة وحيرة .

قال بوارو :

– ربما ، كان السبب هو عدم الانسجـــام ، بين الدكتور أولدفيلد ، وزوجته .

قالت مس هاريسون بعد تردد :

– كلا ، كان الدكتور اولدفيلد محباً لزوجته عطوفاً عليها .

– هل كان يحبها كثيراً ؟

فردت مس هاريسون بعد تردد :

– كلا لم أقل ذلك ، فان مدام اولدفيلد كانت صعبة المراس تريـد من زوجها ان يوقف كل وقته وجهده على العناية بها والسهر عليها ، وهذه مطالب عسيرة يصعب تنفيذها .

قال بوارو :

– لعلك تقصدين انها كانت تبالغ في مطالبها ؟

– نعم ، وربما كان السبب في ذلك هو ضعف صحتها .

قال بوارو بحزن :

– ومع ذلك فقد ماتت !

– أوه ! انا اعرف ، أنا أعرف ذلك .

وبدا عليها الاضطراب .

قال بوارو :

– انا متأكد من انك تعرفين ، كيف بدأت ، من اول الأمر هذه

الشائعات .

فردت مس هاريسون :

- نعم أنا أعرف وربما كان علمي حدساً . أظن ان بيــاتريس اول من خلقت هذه الشائعات ، واني أعرف كيف نبتت في رأسها .

- نعم ..

- سمعت ذات مرة الدكتور اولدفيلد يتحدث مع جان مونكريف . وانا واثقة من ان بياتريس قد سمعت ذلك الحديث ايضاً .

- ماذا كان موضوع ذلك الحديث ؟

وصمتت مس هاريسون لحظة تستجمع فيها أفكارها .

ثم قالت :

- كان ذلك قبل وفاة مدام اولدفيلد بثلاثة أسابيع .. وقد كنت صاعدة من الدور الأول ، فوجـــدت الدكتور والآنسة جان في غرفة الطعام يتحدثان .

سمعت جان تقول له :

قد طال علينا الأمد ، لم أعد أطيق الصبر .

فأجابها الدكتور :

أقسم لك يا حبيبتي ان الوقت لم يطل .

فقالت ثانية :

لا أستطيع احتمال هذا الصبر المرير . هل تظن ان الأمور تسير سيراً مرضياً ؟

فقال لها الدكتور :

طبعاً كل شيء يسير على ما يرام ، وثقي هذه المرة اننا سنتزوج بعـد عام على الأكثر .

وصمتت مس هاريسون قليلاً ثم قالت :

– كان هذا الحديث هو أول ما سمعت . ومنه يتبين انه لم يكن ثمة شيء بين الدكتور اولدفيلد والآنسة جان . وأنا أعرف طبعاً انه كان معجباً بها وكانت بينهما آصرة مودة ، ولكن الأمر لم يتعد ذلك وسرعان ما عدت أدراجي عقب سماعي للحديث . ولكني لاحظت ان باب المطبخ كان مفتوحاً حيث كانت بياتريس تسترق السمع .

ولعلك ترى معي ان الحديث كان عادياً جداً ، ومن الممكن تأويله مع الأسف بعقلية بياتريس بأن الدكتور والآنسة جان كانا يتآمران على قتل مدام اولدفيلد ، مع انني شخصياً فهمت ان الآنسة جان كانت متبرمة من طول مرض السيدة ، لأنه سيعطلها عن الاقتران بالدكتور أولدفيلد !

فنظر اليها بوارو نظرة فاحصة وقال :

– هل لديك أنبـاء أخرى ، تريدين الافضاء بها إلي ، يا مس هاريسون !

فردت في حدة :

– لا . لا .. بالتأكيد ، ماذا يمكن ان يوجد !

– لا اعرف ، ولكن ربما توجد أشياء أخرى .

فهزت رأسها سلباً وقال بوارو :

– من المحتمل ان تقرر وزارة الداخلية إخراج جثـة مدام أولدفيلد لتشريحها .

قالت مس هاريسون وهي منزعجة :

– لا . لا ، إنه شيء مؤلم حقاً .

– أتعتقدين ذلك .

– أظن أن الأمر جد مخيف وسيثير أقوالاً شتى ، هذا فضلاً عن الانزعاج الذي سيسببه للدكتور اولدفيلد .

ـ ألا تظنين انه من الخير له ان يتم إخراج الجثة لتشريحها ؟
ـ ماذا تعني .
ـ أعني انه اذا كان بريئاً فستصمت الألسنة وتموت الشائعات .

فلاحظ بوارو ان أسارير مس هاربسون قد انفرجت بعد عبوس .. وتنهدت تنهدة عميقة ثم قالت :

ـ لم تخطر ببالي هذه الفكرة ، ولكنها الطريقة الوحيدة الواجب اتباعها .

وهنا سمع تصفيق مستمر ، فقالت :

ـ إنها السيدة العجوز مسز بريستو قد استيقظت ويجب ان اذهب اليها لأهيىء لها وسائل الراحة قبل ان أعد لها الشاي ثم نخرج للنزهة . نعم ، أظن ان فكرتك صائبة جداً يا مستر بوارو لأن التحليل سيخرس الألسنة ويقضي على الشائعات .

ثم شدت على يده بحرارة وخرجت من الغرفة .

وقصد بوارو إلى مركز البريد ليتحدث مع لندن بالتليفون ..

قال له محدثه في شيء من الحدة :

ـ أما زلت تتحرى عن هذه القضية التافهة .

هل تعتقد ، انها من النوع الذي يجب أن نهتم به ، نحن رجال سكوتلانديارد .

ألا تعلم ان الإشاعات الريفية كثيراً ما تتمخض عن لا شيء .

قال بوارو :

ـ ولكن هذه القضية خاصة ..

ـ حسناً ، ولكنك تتعب نفسك أكثر مما ينبغي . أما إذا كانت القضية مجرد وهم فلن نستريح لك .

ـ كلا ولكني سأكون أول من يستريح إلى النتيجة .

- ماذا تقول .. إني لا أسمع !

- لا شيء . لا شيء .

ثم وضع السماعة وخرج من غرفة التليفون وتوجه نحو الموظفين ، فسأل موظفة مركز البريد وهو يدفع لها أجر المكالمة :

- هل يمكنك يا سيدتي ان تخبرني عن عنوان خادمة الدكتور اولدفيلد السابقة المدعوة بياتريس .

- بياتريس كنج .. لقد اشتغلت منذ خروجها من منزل الطبيب في بيتين آخرهما منزل المس مارلي بأعلى البنك .

فشكرها بوارو ثم اشترى بطاقتي بريد ودفتر طوابع وحاول أثناء ذلك أن يثير موضوع وفاة مدام أولدفيلد ، ولكنه رأى فجأة ما ارتسم على محيا موظفة المكتب من دهشة وقالت :

- يا للمصادفة العجيبة . ها هي ضالتك المنشودة ، التي خلقت جميع الشائعات التي سمعتها .

ثم برقت عيناها قليلاً وتهللت أساريرها وعادت تقول :

- الست تريد مقابلة بياتريس كنج لهذا السبب الذي ذكرت ، ها هي قد حضرت في الوقت المناسب .

كانت بياتريس فتاة قصيرة القامة يدل مظهرها على المكر ، لكن من يراها لأول وهلة يعتقد انها غبية مأفونة لولا عيناها وما تنمان عنه من خبث ودهاء يخيبان رجاء من يحاول الحصول منها على أية معلومات .

قالت بياتريس :

- لا أعرف شيئاً على الأطلاق ، ولست مسؤولة عما تتناقله الألسنة . ولا أعرف قصدك من سماع حديث الدكتور أولدفيلد والآنسة جان . لست من هؤلاء اللاتي يسترقن السمع ويجدن الانصات إلى حديث الآخرين ، وليس من حقك ان تقول عني اني كذلك ، فإني لا أعرف شيئاً بالمرة .

قال بوارو :

– ألم تسمعي أبداً شيئاً عن التسمم بالزرنيخ ؟

فتهللت أسارير الفتاة وقالت :

– نعم ، لعله الذي كان موضوعاً في زجاجة الدواء !

– أية زجاجة دواء ؟

فردت بياتريس :

– إحدى زجاجـات الدواء التي كانت تجهزها الآنسة جان . كانت تذوقها وتشمها ثم تعود فتصبها في البـــالوعة ، وتملأها من صنبور الماء وتضيف اليها شيئاً آخر فلا يتغير المزيج عن لون المـاء . وذات مرة قدمت للسيدة قدحاً من الشاي ، فشعرت تغييراً في طعمه ، فزعمت الآنسة أن الشـاي لم يصنع بالماء المغلي . هذا ما شهدته بعيني ، وربما توجد أشيـاء تخفى علي !.

فهز بوارو رأسه وقال :

– هل تحبين الآنسة جان يا بياتريس ؟

– لا يعنيني أمرها على كل حال . فقد كانت تحب الطبيب وكان يكفي ان ترى نظراتها اليه كي تدرك انها تحبه .

فهز بوارو رأسه مرة أخرى ثم عاد إلى الفندق ليصدر تعليماته إلى خادمه الخاص جورج .

* * *

فرك الدكتور آلان جارشيـا ، الطبيب الشرعي ، يديه ورمق بوارو بنظرة خاطفة .

ثم قال .

– أظن ان النتيجة مؤيدة لوجهة نظرك الصائبة .

قال بوارو :

– انك تحسن الظن بي إلى حد بعيد .

– ما الذي أوحى اليك بذلك ؟ الشائعات طبعاً

– كما تقول بالضبط ، لأن الشائعات تعطينا صورة واضحة لما تتناقله الألسنة .

وفي اليوم التالي ، استقل بوارو القطار إلى لوجبرو ، فوجدها هائجة كخلية النحل .

لم يكن لأهلها حديث سوى نبش قبر مدام أولدفيلد ، وإخراج جثتها للتشريح

وبعد ان فرغ بوارو من طعامه بالفندق ، قيل له أن سيدة في انتظاره .

كانت تلك السيدة هي الممرضة هاريسون . دخلت عليه شاحبة اللون متجهمة المحيا وسألته :

– هل هذا صحيح ؟ هل هذا صحيح يا مستر بوارو ؟

وبعد ان جلست قال لها بوارو :

– نعم ، فقد ثبت من التشريح وجود كمية كبيرة من الزرنيخ .

فصاحت مس هاريسون :

– لا أظن . لا أظن مطلقاً .

ثم انفجرت باكية .

فقال بوارو بلطف :

– لا بد للحق ان يظهر كما تعلمين .

– هل سيشنقونه ؟

ـ لا نزال نحتاج إلى أدلة قوية .

ـ لماذا لا تفرض انه من هذه التهمة براء ؟

فهز بوارو كتفه وقال :

ـ في هذه الحالة سيهجره زبائنه .

فقالت مس هاريسون ببطء :

ـ كان ينبغي ان أخبرك منذ أول الأمر ، ولكني لم أظن ان في المسألة جريمة .

قال بوارو :

ـ لكني كنت أجزم بذلك . وأرجو ان تخبريني بما تعلمين ..

ـ كنت ذاهبة ذات مرة إلى الصيدلية ، فرأيت الآنسة جان تعمل شيئاً غريباً .

ـ نعم

ـ كانت واقفة بجوار دولاب العقاقير السامة ، وبيدها زجاجة أخذتها منه وراحت تصب قليلاً منها في علبتها الصغيرة . ولكنها بمجرد أن رأتني وضعت العلبة في حقيبتها ، ثم أسرعت فوضعت الزجاجة في الدولاب حتى اني لم أستطع التحقق من نوعها ولم أتمكن من إدراك مغزى تلك الحركة إلا الآن عندما علمت ان مدام اوليفيه ماتت مسمومة .

وعندما فرغت الآنسة هاريسون من حديثها قال لها بوارو :

ـ أستميحك عذراً يا سيدتي !

ثم توجه لطلب مفتش بوليس بركشير بالتليفون ، وعاد ثانياً وبقيا صامتين لحظة .

كان بوارو يطيل النظر إلى الآنسة .. ويصغي اليها وهي تتحدث بصوت خافت

ـ كانت جان تخشى نتيجة هذا التشريح .. ولكن الحقيقة ظلت

ثابتة ، رغم كل شيء . إنها فتاة حمقاء ، أحبت شخصاً كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة .. وكانت الزوجة ، رغم مرضها العضال ، يمكن أن تعيش طويلاً .

فتنهد بوارو ..

فقالت مس هاريسون :

– فيمَ تفكر ؟

– أفكر في هذه المأساة .

فردت الآنسة هاريسون :

– لا أظن مطلقاً ان الدكتور كان يعرف شيئاً عن هذه الجريمة .

قال بوارو :

– كلا ، وأنا متأكد من ذلك ايضاً .

وهنا فتح الباب ودخل رجل البوليس السري ، السيرجنت كراي ، يحمل في يده شيئاً ملفوفاً في منـــديل حريري وكان ذلك الشيء علبة صغيرة .

فقالت مس هاريسون :

– قد رأيت هذه العلبة ذات مرة !

فرد السيرجنت كراي :

– عثرت بها في درج المكتب الخاص بالآنسة جان مونكريف ملفوفة في منديل ولم يظهر بها أثر للبصمات .

وفتح العلبة وهو لا يزال يمسكها بالمنديل .

ثم نظر إلى ما بداخلها وقال :

اليس هذا مسحوقاً للوجه ؟

وغمس فيه إصبعه ثم ذاقه بطرف لسانه وقال :

– طعمه عادي !

قال بوارو :

- ليس للزرنيخ الأبيض أي طعم .

فقال السيرجنت كراي :

- سنجري تحليله حالاً .

ثم التفت إلى مس هاريسون وقال :

- هل تقسمين ان هذه هي العلبة التي رأيتها ؟

- نعم اقسم ان هذه هي العلبة التي رأيتها مع الآنسة جان مونكريف في الصيدلية قبل وفاة مدام أولدفيلد بأسبوع تقريباً .

فتنهد السيرجنت كراي .

ودق بوارو الجرس فجاءه الخادم وقال له :

- أرجو ان ترسل إلي جورج !

فدخل جورج وهو ينظر إلى سيده نظرة استفهام .

فقال بوارو :

- لقد عرفت علبة المسحوق يا مس هاريسون ، وقلت انها كانت مع الآنسة جان منذ عام . ولكنك ستدهشين إذا علمت ان هذه العلبة قد بيعت من محل ولورث منذ بضعة أسابيع ، وإنها من طراز لم يبدأ إنتاجه إلا منذ ثلاثة شهور !

فلم تحر مس هاريسون جواباً ، ونظرت إلى بوارو بعينين داكنتين ، وقال بوارو :

- هل رأيت هذه العلبة من قبل يا جورج ؟

فتقدم الخادم خطوة إلى الأمام وقال :

- نعم يا سيدي ، فقد راقبت هذه السيدة وهي تشتريها من محل ولورث يوم الجمعة ١٨ الجاري ثم اقتفيت أثرها حسب إرشاداتك فاستقلت الأوتوبيس إلى دارنتجتون حيث منزل الآنسة جان مونكريف ، وسرت

وراءها حتى دخلت المنزل فرأيتها تدخل غرفة النوم وتخبىء هذه العلبة في درج المكتب ثم تركت المنزل وهي تعتقد انها بمنجى من الرقابة ، ويمكنني ان أقول انهم لا يغلقون أبوابهم في هذه القرية .

وكان الوقت حينذاك في الغسق .

فقال بوارو لمس هاريسون :

– هل يمكنك دحض هذه الحقائق ؟ لا أظن .. لم يكن في العلبة زرنيخ عندما اشتريتها من محل ولورث ، وإنما وضع فيها الزرنيخ بمنزل مس بريستو .

ثم قال بصوت خافت .

– ليس من الحكمة أن تحتفظي بهذه الكمية من الزرنيخ !

فدفنت الآنسة وجهها بين يديها وقالت بصوت خافت :

– نعم .. لقد قتلتها .. لقد قتلتها ، وبلا فائدة .. لقد كنت مجنونة آثمة .

* * *

قالت جان منكريف :

– أرجو ان تغفر لي يا مستر بوارو فقد كنت غاضبة منك ، وكان يلوح لي أن جميع تصرفاتك تزيد الموقف سوءاً .

فقال بوارو وهو يبتسم :

– لم يكن لي مفر من البدء بتلك الطريقة .. هكذا كانت تقول الأساطير بأنه كلما قطعت رأساً من رؤوس الأفعوان نبت في مكانها رأسان ، ولهذا رأينا الشائعات تنمو وتتضخم ، فكان من واجبي ان أصل إلى الرأس

الأول ، إلى مصدر هذه الشائعات ، وبعد وقت قصير اكتشفت انها كانت مس هاريسون.

توجهت لأراها ، فظهر لي انها إمرأة لطيفة ذكية ، ولكنها أخطأت حين ذكرت لي أنها سمعت حكاية حديثك مع الطبيب ، وقد كانت حكاية مختلقة ..

فلو كنتما حقيقة تتآمران على قتل السيدة ، فإنكما من الذكاء بحيث لا تتآمران في غرفة مفتوحـــة الأبواب ، وبجواركما الخادمة والممرضة تروحان وتجيئان .

كما ان الكلمات التي عزيت اليك لا تصدر عن فتاة في مثل سنك وإنما هي كلمات إمرأة كبيرة مثل مس هاريسون التي يصح ان تقولها في مثل هذه الظروف .

وهنا وضحت لي الحقيقة .. فلا تزال مس هاريسون على جانب من الجمال ، وقد عاشرت الدكتور اولدفيلد ثلاث سنوات كانت في خلالها موضع تقديره لعنايتها وعطفها على زوجته حتى اعتقدت انه سيطلب يدهـــا بعد وفاتها ، ولكن خاب ظنها حينما علمت انه بدأ يحبك فراحت تروج الإشاعات بأن الطبيب سمم زوجته .

فعندما عرضت علي القضية في أول الأمر قلت لنفسي ان في المسألة مكيدة نسائية ، ثم قررت أن أقوم بالبحث فلا دخان بدون نار .

فقد دهشت حقاً لقيام مس هاريسون بما هو أخطر من هذه الشائعات، فقد لفت نظري بعض ما ورد في حديثها .

أخبرتني ذات مرة أن مرض مدام أولدفيلد كان معظمه وهما وانها لم تكن تعاني منه كثيراً ، ولكن الطبيب لم يشك في أنها كانت حقا مريضة فلم تذهله وفاتها . فقد استدعى قبيل وفاتها أحد زملائه الأطباء ثم استدعى زميلا آخر فكان قرارهما أن الحالة جد خطيرة .

وعندما عرضت عليها فكرة تشريح الجثة خافت أولاً ، ولكن رغبتها في الكيد والانتقام دفعتها إلى تشجيعي لاعتقادها بأن أحداً لن يرتاب فيها ، وان أصابع الاتهام ستشير حتما إلى الطبيب واليك ، ولم يبق هناك سوى أمل واحد . هو أن تقدم مس هاريسون على عمل طائش لإلصاق التهمة بك ولذلك أمرت جورج بمراقبتها .

فقالت جان مونكريف :

– إنك لمدهش حقا .

وقال الدكتور أولدفيلد :

– إني عاجز عن شكرك ، فكم كنت غبيا .

قال بوارو :

– وهل كنت أنت غبية كذلك يا آنسة ؟

فقالت جان :

– كنت في شدة الخوف والاضطراب ، فقد عثرت بالزرنيخ في الدولاب فعلا .

فصاح الدكتور اولدفيلد :

– جان .. الم تظني ؟

– كلا ، لم أشتبه فيك ، وإنما ظننت ان مدام أولدفيلد قد اشترت الزرنيخ لتأخذ منه قليلا فتشتد عليها الأوجاع لتستدر عنايتك بها وعطفك عليها . وانها أخطأت في النهاية وتناولت كمية أكبر .. وكنت أخشى أن يكشف التشريح عن وجود أثر للسم بالجثة فتصبح النتيجة وبالاً علينا ، ولهذا لم يرد على لساني قط أي ذكر للزرنيخ .. والمدهش أيضا في هذه المسألة انه لم ترد على خاطري أبداً أي فكرة عن مس هاريسون .. فهي آخر من أشتبه فيها .

فقال الدكتور أولدفيلد :

– وأنا أيضا . . لأنها إمرأة اكتملت فيها صفات الأنوثة الرحيمة .

فقال بوارو بحزن :

– نعم . . ربما كانت صفاتها تؤهلها لتكون زوجة وفية وأما رحيمة . ولكنها وقعت تحت تأثير دوافع لم تستطع مقاومتها ، وهذا أمر يبعث على الأسف .

ثم نظر مبتسما الى الرجل الكهل وإلى الفتاة للتي تفيض رقة وشبابا ، وقال لنفسه :

– لقد أثمرت جهودي وكانت نعمة وبركة على هذين الشخصين .

- ٣ -

المفقودة

ضغط بوارو قدميه على الأرض محاولاً تدفئتها . وتساقطت من شاربيه نقط من ذوب الجليد ..

وسمع طرقاً على الباب ظهرت بعده الخادمة ..

كانت فتاة ريفية تميل إلى السمنة أخذت تنظر باستغراب إلى بوارو ، كأنها لم تر شخصاً على شاكلته من قبل .

سألته قائلة :

- هل دققت الجرس ؟

- نعم ، أرجوك أن تشعلي لي ناراً ؟

فخرجت وعادت مسرعة تحمل ورقاً وأعواداً من الخشب وضعتها في المدفأة وبدأت تشعلها ..

وراح بوارو يضغط على قدميه ، ويفرك يديه ويقربهما من وهج النار .

لقد قطع مسافة ميل ونصف ميل في طريق وعر يكسوه الجليد ، واضطر أن يمشي طول هذه المسافة لتعطل سيارته حتى وصل إلى قرية هارتلي دين الواقعة على شاطىء النهر .

وهذه القرية المشهورة بجمالها في الصيف يفر منها الانسان في الشتاء .

وروع بوارو عندما أخبره صاحب الفندق ان في إمكانه ان يقدم اليه سيارة أخرى يتم بها رحلته ..

كيف يخرج على مألوفه ويؤجر سيارة ، بينما هو يملك سيارة . وسيارة غالية الثمن هو مصمم على العودة بها إلى المدينة .

وهو لن يعود إلا في الصباح حيث يكون الجليد قد ذاب ، والسيارة تم إصلاحها .

مد بوارو قدميه بالقرب من المدفأة وهو يمسك بيده قدحاً متواضعاً يرشف منه سائلاً أسود قيل أنه قهوة .

ولكن لهب النار وحرارتها جعلته يشعر كأنه في جنة الخلد .

حتى نسي الطعام الرديء الذي اكله ، والقهوة القذرة التي كان يشربها !

وطرقت الخادمة الباب ودخلت وهي تقول :

– رجل من الكاراج يريد مقابلتك يا سيدي !

– دعيه يدخل ..

ودخل شاب .. عليه مسحة من الوسامة والبساطة كأنه من أحفاد آلهة الاغريق .. قال :

– لقد فحصت العربة وعرفت الخلل الذي بها ويستغرق إصلاحه نحو ساعة ..

– ما هو ذلك الخلل ؟

فأخذ الشاب يتكلم عن أشياء فنية لا تهم بوارو كثيراً ، وراح هذا يهز رأسه كأنه منتبه لما يقوله الشاب ، بينما هو في الحقيقة غير ملم بكلامه ..

ثم تمتم لنفسه : إنه أحد آلهة الاغريق ، أو راع صغير من أركاديا .

السحرية ؟

وأخذت عيناه تضيقان قليلاً ..

ثم قال :

– لقد فهمت .. نعم فهمت لأن سائق سيارتي انبأني بكل ما قلت .

فرأى حمرة الخجل تعلو وجه الشاب الذي تناول القبعة بيده في شيء من الاضطراب .

وسمعه بوارو يقول :

– نعم يا سيدي أنا أعرف .

فأجاب بوارو :

– ولكنك استحسنت أن تحضر بنفسك لتخبرني بالمطلوب .

– نعم يا سيدي ، لقد فضلت أن أحضر بنفسي ..

فقال بوارو :

– أشكر لك عنايتك الزائدة ..

كانت هذه الكلمات تحمل معنى الاذن للشاب بالانصراف ، ولكنه لبث واقفاً في مكانه ..

ثم أمسك بقبعته وتنحنح .

ثم قال بنبرات يظهر فيها الارتباك :

– استميحك عذراً يا سيدي ، الست انت مستر بوارو البوليس السري الخاص المعروف ؟

– نعم .. أنا بوارو !

فاحمر وجه الشاب وقال :

– قرأت عنك مرة في الجرائد .

– نعم !

فتغير وجه الشاب ..

وانتبه بوارو فقال له :

– نعم .. ولكن لماذا تسألني ؟

– أخشى أن تظن ان اضطرابي إنما هو نتيجة خوف . ولكن الحقيقة ان حضورك الفجائي إلى هنا ، ومـــا سبقه من ذيوع لشهرتك في تحقيق الجنايات وقراءاتي شيئاً عنها في الجرائد كل هـذا جعلني أرغب في سؤالك أمراً ! هل ثمة مانع ؟

فهز بوارو رأسه وأجاب ·

– هل تريد مني أن اساعدك في شيء ما ؟

فقال الشاب متردداً :

– نعم .. نعم . سيدة شابة أرجو البحث عنها ؟

– البحث عنها ؟ هل اختفت ؟

– نعم يا سيدي ، إنها اختفت .

فاعتدل بوارو على كرسيه وقال بجدة :

– يمكنني أن أساعدك . ولكني أفضل أن تذهب إلى رجال البوليس ، لأن وسائلهم اكثر يسراً !

– لا يمكنني أن أفعل ذلك يا سيدي ، لأن المسألة لها طابع خاص .

فحملق فيه بوارو وأشار له بالجلوس وقال .

– حسناً ، ما اسمك إذن ؟

– تيدو ليمصن يا سيدي !

– اجلس يا تيد واخبرني بكل شيء .

فشكره الشاب وجلس على حافة المقعد .

وقال له بوارو بهدوء :

– اخبرني .

فتنهد تيد تنهدة عميقة وقال :

– لم أرها غير مرة واحدة ، لم اعرف اسمها ولا حقيقتها .

فقال بوارو :

– أسرد علي القصة من اولها .. لا تتعجل .. اخبرني كل مـــا حدث لك !

– حسناً يا سيدي ، لعلك تعرف نادي جرسلون الواقع على شاطىء النهر بالقرب من القنطرة ؟

– لا أعرف شيئاً على الاطلاق !

– يملك هذا النادي ، السير جورج صندرفيلد ، الذي يقضي فيه عطلة الأسبوع في الصيف ، مع جمهرة من الممثلات وبعض أصدقائـه للهو والقصف .. وقد استدعيت في شهر يونيه المـــاضي لاصلاح خلل بالراديو .

فهز بوارو رأسه ..

واستمر الشاب يقول :

– ذهبت في الحال ، وكان صاحب القصر على شاطىء البحر مع ضيوفه والطباخ خرج لبعض شؤونه .. فلم أجد سوى مساعده يعد المائدة للغذاء وإحدى الوصيفات ..

أخذتني الوصيفة إلى مكان الجهاز وجلست بجواري أثناء قيـــامي باصلاحه .. وتحدثنا بالطبع سوياً .. كان اسمها فاليتا حسب قولها ، وإنها وصيفة لراقصة روسية كانت مع الضيوف حينذاك ..

– ما هي جنسيتها ؟ هل كانت انجليزية ؟

– كلا يا سيدي ، بل أظن انها فرنسية .. ففي نبرات صوتها عذوبة وظرف وهي تجيد الانجليزية ..

توطدت بيننا الصداقة .. فدعوتهـــا لتذهب معي إلى السينما .. ولكنها اعتذرت ، إذ ربما تحتاج اليها سيدتها .. ثم عادت فقبلت دعوتي

بعد ان حددت الموعد المناسب لها .. وكانت نزهـة جميلة على شاطىء النهر .

ثم صمت الشاب قليلاً وارتسمت على شفتيه ابتسامة عذبة .. وغامت في عينيه لمحة من الذكريات !

فقال بوارو بهدوء :

- هل كانت جميلة ؟

- لم أر في حياتي شيئاً أحب منها الى قلبي .. لن انسى شعرها الذهبي وهو يتماوج مع النسيم كأنه أجنحة ذهبية ولا ظرف حديثهـا وعـذوبة صوتها .. لقد أسرتني بجمالها وأصبحت لا أريد من هذا الوجود شيئـاً سواها !

فهز بوارو رأسه ..

واستمر الشاب يقول :

- لقد وعدتني بقضاء لحظة ممتعة أخرى عندما تحضر مع سيدتها في المرة القادمة بعد اسبوعين ، ولكنها لم تحضر إلى مكاننا الموعود وانتظرتهـا طويلاً بغير جدوى ، وعندما يئست تجرأت وذهبت إلى النادي وسألت عنهـا .. فقيل لي : إن الراقصة الروسية قد حضرت ومعها خادمتها ..

وبعد قليل جاءتني خادمة اخرى ، دميمة الخلقة بدينة الجسم وقالت ان اسمها ماري .. اما الوصيفة السابقة فقد طردت !

كدت ان اصعق ، واسقط في يدي ، فماتت الكلمات على شفتي وعدت ادراجي ولكنني تشجعت وعدت ثانية اسأل ماري عن عنوان نيتا ووعدتها بمكافأة سخية ، فعادت بعد قليل تخبرني أنها بشمال لندن ، فأرسلت اليهـــا خطاباً رده الي مكتب البريد بعد بضعة أيام ، ثم أردفته بآخر فكان حظه مثل حظ الأول !

ثم صمت لحظة ونظر إلى بوارو بعينيه الغائرتين وقال :

– أظن انه يتبين لك ، مما ذكرت ، ان مسألتي لا تصلح للعرض على البوليس . وأنا مستعد ان أدفع لك عشرة جنيهات إذا استطعت الحصول على فتاتي !.

قال بوارو :

– لا ضرورة لأن نتناول الناحية المالية الآن . ولكني أريد ان أسألك سؤالاً واحداً :

هل هذه الفتاة المدعوة نيتا تعرف اسمك وعملك ؟

– نعم يا سيدي !

– هل في إمكانها الاتصال بك إذا أرادت ؟

– نعم .

– هل تظن انها .. ربما .

فقاطعه تيد قائلا :

– أظنك تعني يا سيدي انها لا تحبني كما أحببتها .. ربما .. فقد فكرت في هذا طويلا ، وأنا واثق انها كانت تميل إلي ، لا بد ان يكون هناك شيء شغلها ، إنها كانت تعيش في بيئة سيئة ، ولعلها تورطت في بعض المتاعب ، هل تفهم ما أعني ؟

– لعلك تريد ان تقول ، انها ستضع طفلا ، عما قريب .. هل هو منك ؟

– كلا يا سيدي ، فلم تكن بيننا علاقة آثمة .

فنظر اليه بوارو طويلا وقال :

– إذا كان ما تظنه ، حقيقة . فهلا تزال راغباً ، في العثور عليها ؟

فاحمر وجه تيد وقال :

– نعم ، وأريد ان أتزوجها إذا شاءت ، ولا يعنيني ما تكابده الآن ،

أرجوك يا سيدي أن تجدها لي وحسب .

فابتسم بوارو وقال لنفسه :

– شعر كأجنحة ذهبية . سيكون الكشف عن هـــذه المسألة من المعجزات .

نظر بوارو في ورقة مكتوب فيها عنوان مس نيتا فاليتا « ١٧ وينفرواين ، رقم ١٥ » وهو لا يدري إذا كان هذا العنوان الذي قدمه اليه تيمد سيهديه إلى ضالته .

ذهب الى المنزل رقم ١٥ المذكور .. وفتحت له الباب إمرأة بدينة ، فسألها :

– مس فاليتا ؟

– تركت هذه الدار منذ عهد طويل !

فتقدم بوارو خطوة إلى داخل المنزل وقال :

– هل يمكنك ان تعطيني عنوانها ؟

– لا ، فهي لم تتركه لنا .

– متى رحلت عن هذه الدار ؟

– في الصيف الماضي .

– هل يمكنك أن تخبريني بالتحديد ؟

وهنا سمع رنين نقود في يد بوارو .. فسال لعاب المرأة واختفى عبوسها ثم قالت :

– أؤكد لك يا سيدي اني أريد مساعدتك ، ربما كان ذلك في شهر أغسطس . أعتقد انه قبل هذا التاريخ ، نعم في شهر يوليو ، فقد رحلت مسرعة ، في الأسبوع الأول من يوليو ، رحلت إلى إيطاليا ، على ما أظن .

– إذن هي إيطالية الجنس ؟

- نعم يا سيدي .

وكانت في وقت ما وصيفة لراقصة روسية .

- هذا صحيح ، إنها مدامساموشينكا وكانت ترقص في ملهى تيسبديان ، وقد غزت قلوب رواد الملهى .

فقال بوارو :

- هل تعرفين لماذا تركتها مس فاليتا ؟

فترددت المرأة قليلاً ثم قالت :

- لا أعرف ، لعلها قد طردت .

ربما حدث بينها وبين سيدتها شيء ما لم تفصح فاليتا عنه . ولكنها كانت شديدة الغضب ، ولعلها لم تدع الأمور تمضي بسلام ، فهي بطبيعتها الإيطالية الحادة وعينيها السوداوين ، لا تحجم إذا غضبت من أن تطعن خصمها بسكين ، ولهذا لم أكن أعارضها عندما تثور .

- هل تجزمين بأنك لا تعرفين عنوانها الحالي ؟

ورنت النقود في يده ثانية ، فتشجعت وردت :

- أشعر برغبة في مساعدتك ، ولكنها رحلت على جناح السرعة . وهناك ..

فقال بوارو في نفسه :

- نعم هناك !

* * *

كان أمبروز فاندل منهمكاً في عمل التصميمات اللازمة لحفلة الرقص المقبلة عندما التفت إلى بوارو وقال له :

– صاندرفيلد ؟ جورج صاندرفيلد ، ذلك الثري المعروف انه رجل سيىء السمعة ، وله علاقة مع الراقصة كاترينا ساموشينكا ، هـل رأيتها ؟. هي فاتنة حقاً !. وما أروعها حينما ترقص في هذه الثياب التي أضع تصميمها مع ميشيل نوفجين .

– هل توجد علاقة بين هذه الراقصة وصاندرفيلد ؟

– نعم ، فقد اعتادت أن تقضي معه عطلة الأسبوع في قصره القائم على ضفة النهر حيث يقيم حفلات فخمة .

– هل يمكنك ان تعرفني بالآنسة ساموشينكا ؟

– أنا آسف ، فقد رحلت إلى باريس فجأة ، إذ أشيع عنها انها جاسوسة روسية ، ولكني لم أصدق ذلك لأن كاترينا تبغض الشيوعيين وتدعي انها من الروس البيض وابنة احد أمرائهم .

* * *

كان السير جورج صاندرفيلد قصير القامة ، مجعد الشعر ، غليظ العنق . فقابل بوارو بشيء من الفتور ، وسأله :

– ماذا يمكنني ان أفعل لك ؟ نحن لم نلتق قبل الآن ؟

فأجابه بوارو :

– لا ، نحن لم نلتق فعلا .

– إذن فماذا تريد ؟

– المسألة بسيطة ، أريد الحصول على معلومات تافهة جداً .

فضحك السير صاندرفيلد على الرغم منه ورد :

– أتريد ان أفضي اليك بمعلومات تفيدك في شؤونك المالية ؟

– ليست المسألة خاصة بالشؤون المالية ، ولكنها متعلقة بامرأة .
– إمرأة ؟
ثم اضطجع على كرسيه إلى الوراء وظهر عليه الارتياح .
فقال بوارو :
– أظنك كنت صديقاً للآنسة كارينا ساموشينكا ؟
فضحك السير صندرفيلد ورد :
– نعم ، فتاة ساحرة ، ولكنها مع الأسف رحلت من لندن .
– لماذا رحلت ؟
– لا أدري ، ويؤسفني اني لا أستطيع مساعدتك ، لانقطاع الأسباب بيني وبينها .
فقال بوارو :
– ولكن أمر الآنسة ساموشينكا لا يعنيني .
– من تريد إذن ؟
– وصيفتها ، لعلك تذكرها .
فلاح عليه الضيق والحرج واجاب :
– كيف أذكر ذلك ، انا أفهم انها دائما تحتفظ باحدى الوصيفات وكانت عندها وصيفة لا تعرف الصدق أبداً .
فقال بوارو :
– يلوح لي انك تعرف عنها الكثير .
– كلا ، وإنما هي ذكريات باهتة . فأنا لا أتذكر اسمها ، ربما كان ماري او اي اسم آخر ، ولهذا اجدني لا استطيع مساعدتك في القبض عليها .
فقال بوارو بهدوء :
– لقد حصلت على اسم الوصيفة من ملهى تيسبيان ، وهو ماري

هيلين ، غير اني اتحدث عن وصيفة المدموازيل ساموشينكا السابقة وهي نيتا فاليتا .

فحملق السير ساندرفيلد وقال :

ـ لا أذكرها مطلقا ، ولكن ماري هي الوصيفة التي اذكرها ، دكناء اللون عمشاء العينين .

فقال بوارو :

ـ الفتاة التي اعنيها كانت في قصرك ، المسمى جرسلون ، في يونيـو الماضي !

ـ حسنا .. كل ما استطيع ان اذكره لك ، إني لا اتذكر هذه الوصيفة .. ولا تصدق انها كانت تصحب معها وصيفة .. لعلك مخطىء يا عزيزي .

فهز بوارو رأسه لأنه يظن انه لم يكن مخطئا .

* * *

القت ماري هيلين على بوارو نظرة هادئة ، ثم كر بصرها اليه بلمحـة سريعة ، فقالت :

ـ اذكر تماما ، اني اشتغلت عند مدام ساموشينكا ، في الأسبـوع الأخير من شهر يونيو .. لأن وصيفتها السابقة ، كانت قد رحلت فجـأة ..

ـ الم تسمعي عن سبب رحيلها الفجائي .

ـ كل ما اعرفه انها رحلت فجأة .. ربما كان بسبب المرض .. او اي سبب آخر لا اعلمه .. لأن السيدة لم تذكر عنها شيئا .

– هل كنت تستريحين لخدمة مدام ساموشينكا ؟

فهزت الفتاة كتفيها وأجابت :

– لقـــد كانت غريبة الأطوار .. تبكي وتضحك في آن .. ثم تبتهج وتبتئس في آن آخر .. لا يمكن معرفة طباعها . إنها كمعظم الراقصات هكذا خلقن !

فسألها بوارو :

– وما رأيك في السير جورج صاندر فيلد ؟

فغامت في عينيها سحابة حزن وأسى ..

وقالت :

– لعلك تريد أن تعرف شيئاً عنه ؟ يمكنني أن أخبرك عنـه أموراً غريبة ..

فقاطعها بوارو :

– ليس ضرورياً !

فنظرت اليه فاغرة الفم . يتطاير من عينيهـا شرر الغضب الممزوج باليأس !

* * *

– اني أقول عنك دائماً إنك لا تجهل شيئاً يا الكس بافلوفيتش !

قال بوارو هذه العبارة للكونت بافلوفيتش صاحب مطعم ساموفـــار بباريس يتملقه ويسترضيه ..

لأن البحث عن ضالته المنشودة كان يتطلب منه سفراً طويـــلا ، ومجهوداً شاقاً مضنياً .

ولكن بافلوفيتش يمكن أن يوفر عليه ذلك لأنه يزعم بـــأنه لا تفوته شاردة ولا واردة في دنيا الفنانات والراقصات !

فهز الرجل رأسه وقال :

– نعم يا صديقي ، أنا أعرف كل شيء حقيقة . أنت تسألني اين ذهبت الحسناء ساموشيكا الراقصة الفاتنة التي تأسر قلب الزاهد .

وهنا قبل الرجل أنامله ..

ثم عاد يقول :

– إنها تلهب الجماد ، لقد تفوقت على قريناتها في العالم كله ، ثم اختفت فجأة وسينساها الناس .

فسأله بوارو :

– أين هي الآن ؟

– في سويسرا ، ذهبت إلى هناك للاستشفاء ، من داء ذات الرئة الذي أضعف جسمها ، وأذوى عودها حتى أصبحت كالأموات .

فتنحنح بوارو وسأله :

– ألم تعرف وصيفتها المدعوة نيتا فاليتا ؟

– فاليتا ؟ فاليتا ؟ نعم أذكر انني رأيتها ذات مرة ، حينما كنت أودع ساموشينكا عند سفرها إلى لندن ، إنها إيطالية الجنس من بـلدة بيسا . أليس كذلك ؟

فتمتم بوارو لنفسه :

– إذن يجب ان ارحل الى بيسا !

* * *

وقف بوارو في مقبرة كامبو سانتو ساكناً خاشعاً .. في أحد قبورها المتواضعة ترقد ضالته المنشودة ..

تلك الفتـــاة المرحة ، التي خلبت لب ذلك الشاب الانجليزي الساذج ..

هكذا ختمت قصتها الدامية ، وستبقى صورتها حية في خيال ذلك الشاب المسكين ، الذي لم ينعم بقربها سوى لحظة يسيرة في إحدى أمسيات شهر يونيه الماضي .

وهز بوارو رأسه في اسف عميق ، وتوجه بالحديث إلى عائلتها الحزينة مع والديها الريفيين ، اللذين هدهما الحزن ، وشقيقتها التي أحالها الوجد والأسى هيكلا آدمياً !

قالت امها الثكلى :

– لقد خطفهـا الموت يا سيدي .. كانت بيانكا تشكو من الزائدة الدودية .. وقـد رآها الطبيب أخيراً ، فصمم على نقلها إلى المستشفى فوراً لاجراء جراحة سريعة لازالة الزائدة الدودية .. وكأنما كان شبح الموت يتربص لها هناك ، ففاضت روحها أثناء العملية ، وهي في غيبوبة من تأثير البنج !

وتمتم بوارو لنفسه :

– كانت نيتا دائماً ماهرة ذكية ، ومن المحزن ان تموت في هـذه السن المبكرة وستكون الرسالة التي سأحملها إلى حبيبها المسكين ، إنها لم تعد لك ، فقد ماتت .

* * *

أرخى الظلام سدوله ..

ولم تعد لزهور الربيع نضرتها وبهجتها .

ولكن الربيع وهو موسم الحياة وعيد الشباب ، له في النفوس دفعة ، وفي الأبدان حركة .

فهل يقنع بوارو بهذه النتيجة ؟

لا يزال الشك يداعب خياله ..

فتنهد طويلاً واستقر رأيه في النهاية على السفر إلى جبال الألب السويسرية ليحسم هذه الشكوك ؟

هو الآن عند نهاية الدنيا .. حيث يغطي ركام الجليد ، كل شيء .. وهذه الأكواخ المبعثرة هنا وهناك تحوي هياكل آدمية تصارع الموت .

وصل أخيراً إلى كوخ كاترينا ساموشينكا ..

رآها ممددة في فراشها غائرة العينين والخدين وقد أخرجت من تحت غطائها ذراعين هزيلين .

لقد أثار هذا المنظر شجونه !.

لقد نسي اسمها ..

ولكنه لم ينس رقصاتها الفنية الرائعة .

تذكر ميشيل نوفجين في رقصة لصياد يداور طريدته حيناً ، ويطاردها أحياناً في تلك الغابة السحرية التي أخرجتها عبقرية أمبروز فاندل للنظارة كغابة حقيقية !

وتذكر الطريدة ..

ذلك الغزال بقرنيه الذهبيتين وقدميه البرونزيتين يهرب من قناصه في خفة ورشاقة .

تذكر ذلك الغزال حين صرعه القناص فسالت دماؤه .

وتذكر ميشيل نوفجين وهو يقف نادماً أمام غزاله الجريح فيأخذه بين يديه كالواله المشدوه ؟

نظرت ساموشينكا وهي في فراشها إلى بوارو ..

ثم قالت :

– لم أرك قبل الآن ، ماذا تريد مني ؟

فانحنى بوارو قليلاً ، وقال :

– اشكر لك يا سيدتي أولاً فنك الرفيع الذي أتاح لي رؤيتك في إحدى الليالي ؟

فابتسمت ابتسامة ضعيفة ..

وقال بوارو :

– جئت هنا لأبحث عن نيتا وصيفتك القديمة ؟

فاتسعت حدقتاها وسألته في دهشة :

– ماذا تعرف عن نيتا ؟

– سأخبرك يا سيدتي .

وروى لها قصة الميكانيكي تبد من أولها إلى آخرها ، وهي تصغي اليه بانتباه ..

ولما انتهى قالت :

– إنها مأساة .. مأساة مؤثرة حقاً !

فهز بوارو رأسه فقال :

– نعم .. إن مأساة أركاديا تعود إلى الحياة من جديد ماذا تعلمين يا سيدتي عن هذه الفتاة !

فقالت سافوشينكا وفي نبراتها حزن ظاهر :

– كانت عندي وصيفة تدعى جانيتا ، مرحة الطبع ، طيبة القلب .. فحدث لها ما يحدث لأمثالها الغريرات فاغتالها الموت وهي

صغيرة ..

فأثارت هذه العبارة فضوله وسألها :

– هل ماتت ..

– نعم .. ماتت ..

وبعد لحظة سألها ثانية :

– ولكن هنـــاك شيء واحد غاب علي فهمه .. وهو اني حينما سألت السير جورج صاندرفولد عن فتاتك ، بدا عليه الاضطراب .. لماذا ؟

فظهرت على وجه الراقصة علامات الامتعاض ..

وقالت :

– لقد قتلت وصيفتي .. وربما يكون قد اعتقد انك تعني مـاري التي خلفت جانيتا .. وقـد حاولت تلك الفتاة ابـتزازه ، لامور لاحظتها عليه .. فقد كان من عادتها التجسس على أخبار الناس وقراءة رسائلهم ..

وبعد ان صمت بوارو لحظة ..

سألها :

– إذن .. فقد كانت فاليتا تحمل إسماً آخر .. هو جانيتا .. وهي ايضاً ، قد ماتت في بيسا .. على أثر عمليـة استئصال الزائدة الدودية .

فقالت الراقصة بعد شيء من التردد :

– نعم هذه هي الحقيقة .

فقال بوارو :

– ولكن أهلها يذكرونها باسم بيانكا .

فهزت ساموشينكا كتفيها واجابت :

ـ بيانكا ، جانيتا .. هذه مسألة لا تهمني ، ولكني اظن انها استظرفت الاسم فأطلقته على نفسها .

ـ أنت تظنين ذلك ، ولكنني أظن ان في المسألة سراً ؟

ـ ما هو ؟

فانحنى بوارو واجاب :

ـ الفتاة التي وصفها لي تيد .. كانت ذات شعر كالأجنحة الذهبية ..

ثم دنا من ساموشينكا ..

ولمس شعرها بيديه وتابع كلامه :

ـ أجنحة ذهبية او قرون من ذهب .. أجنحة كتلك التي كنت تبدين فيها ملاكاً أو شيطاناً ، والقرون كتلك القرون الذهبية ، كقرون ذلك الغزال الجريح ..

فأجابت كاترينا بصوت يائس حزين ..

ـ الغزال الجريح ..

فرد بوارو :

ـ لا يزال وصف تيد وليمصن يلقي في روعي حيرة بالغة ، هذه الحيرة مصدرها أنت .. أنت حينما كنت ترقصين بقدميك البرونزيتين في الغابة ..

هل أخبرك بما يساورني يا آنستي ؟ اظنك امضيت اسبوعاً بدون ان تكوني في خدمتك وصيفة ..

وفي خلال هذا الأسبوع ، سافرت إلى جرسلون ، لأن بيانكا فاليتا كانت قد تركتك وعادت الى ايطاليا .. حيث ماتت في مقتبل العمر اثر عملية جراحية ..

وكنت لم تحصلي بعد على وصيفة جديدة .

وقد شعرت في ذلك اليوم بأعراض المرض فلم ترافقي الضيوف إلى شاطىء النهر بل بقيت وحيدة في المنزل ..

فسمعت الجرس يرن وذهبت لتنظري من القادم .

هل أخبرك من كان ذلك القادم .. كان شاباً في براءة الأطفال، وجمال الآلهة ..

فانتحلت امامه لا إسم جانيتا ..

بل اسم نيتا فاليتا ..

ثم عشت وإياه بضع ساعات في الفردوس ..

وهنا ساد بينهما سكون عميق ..

اجابت بعده كاترينا في صوت أجش :

– لعلك على حق .. ومصداقاً لقصدك فإن نيتـا ستموت أيضاً في مقتبل العمر ..

فقال بوارو وهو يضرب المنضدة بيده :

– كلا لا تموتي .. يجب ان تصرعي الموت وتكافحي من أجـل الحياة الجميلة ..

فهزت رأسها في يأس وحزن ..

ثم اجابت :

– ولكن .. أي حياة تنتظرني ؟

– ليست حياة المسرح، ولكنها حياة أخرى .. تعالي معي يا انسق، وارجو ان تصدقيني القول، هل كان أبوك اميراً او دوقـاً او جنرالاً عظيماً ؟.

فضحكت واجابت :

– كان سائق لوري في ليننغراد ..

– حسناً .. ولماذا لا تكونـين زوجة لذلك الميكانيكي القروي ..

وتنجبين منه اطفالاً حساناً كالآلهة ؟ لمن اقدام تؤهلين لتلك الرقصة الرائعة التي كنت ترقصينها ..

فأمسكت كاترينا انفاسها ثم اجابت :

– إنها لفكرة خيالية ..

فقال بوارو :

– أظن انها ستتحقق ..

— ٤ —

السفاح ماراسود

بعد أن انتهى من عمله في سويسرا جاشت في صدره رغبة قوية لزيارة بعض المعالم التي لم يرها فقضى يومين في شامونيكس ويوماً في مونترو ثم ذهب إلى الدرمات التي كان أصدقاؤه يسرفون في مدحها .

وجدها تقع في نهاية واد سحيق تحيط به جبال تكللها الثلوج فشعر فيها بانقباض شديد . .

لم يجد مندوحة من الرحيل فوراً . . صعد به القطار إلى ليزافين ثم كاروشيت وبعد ذلك إلى روشتنج التي تقع على ارتفاع عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر .

لم يظن بوارو ان الرحيل سيصل به إلى هذا المرتقى البعيد .

وبينما هو في القطار مر به المفتش ، وأشر على تذكرته ، وأعادها اليه اليه ، فوجد معها ورقة صغيرة ، مكتوبة بالقلم الرصاص ، فقرأ فيها ما يلي :

« لن أخطىء هذه الشوارب . أحييك أيها الزميل العزيز . أرجو إذا رغبت أن تساعدني في مهمة تعجبك ، لعلك قرأت شيئاً عن جريمة سالي ؟

السفاح ماراسود سيلتقي مع أفراد عصابته في روشتنج ، فأرجو أن تكون متيقظاً يا صديقي إتصل بالمفتش دراوث فإنه رجل معقول ، وإن لم يبلغ حد عبقريتك . يجب ان تبذل أقصى الجهود للقبض على السفــاح الخطير ماراسود لا أستطيع التحدث اليك في الدرمات لأن عيون ذلك السفاح تراقبني في كل مكان ولكنــك أكثر مني حرية إذ يحسبونك سائحاً .. صديقك ليمنثيل » .

وما ان انتهى من القراءة حتى فتــل شاربه الذي يميزه عن سائر الرجال .

فقد سبق ان طالع في الصحف عن جريــة سالي . طالع نبأ ذلك السفاح الذي قتل ذلك الناشر الباريسي ، فقد عرفت أوصاف القاتل وثبت أنه عضو في عصابة خطيرة وقد اشتبه في اشتراكه في كثير من الجرائم ، ولكن التهمة هذه المرة ثابتة عليه .

ولكنه هرب من فرنسا ، والبوليس يبحث عنه في كل مكان من القارة الأوروبية ..

ويبدو الآن انه على موعد مع عصابته في روشتنج ..

هز بوارو رأسه قليلا ، ولاحت عليه الحيرة ، لأن روشتنج في منطقة ولا تتصل بالعالم إلا بخط حديدي صغير ، ولا يفتح فندقها إلا ابتداء من يونيه حتى أغسطس ثم تصبح طول العام قاعاً صفصفاً ، فاجتماع العصابة في هذه البقعة المهجورة لما يثير المخاوف .

ولكن قومسيير البوليس السويسري رجل عاقل صادق فيما كتبه . إذن فلا بد ان يكون هناك أمر حدا بمارسود إلى الاجتماع بعصابته في ذلك المكان النائي

تنهد بوارو ، إذ لم يدر بخلده أن مثل هذه المهمة الخطيرة ، مهمة القبض على ذلك الدب البري كانت تنتظره ، في وقت ينشد فيه

الراحة .

كان الرجل الجالس أمامه في القطار ، سائحاً أمريكياً ، يبدو من هيئته أنه من إحدى البلدان الأمريكية الصغيرة ، ويزور أوروبا للمرة الاولى .

ولم تخطىء فراسة بوارو حينما تحدث إلى جاره .

وفي الجانب الآخر من العربة كان يجلس رجل وخط الشيب شعر رأسه طويل القامة كبير الأنف معقوفها يقرأ في كتاب باللغة الألمانية ويبدو من شكل أصابعه أنه موسيقي أو جراح .

وفي ناحية أخرى ، كان يجلس ثلاثة رجال ، لا يختلفون كثيراً في هيئتهم ، وكانوا يلعبون الورق ، فدخل شخص وتداول وإيام المكسب والخسارة .

لم يبد على اولئك الثلاثة ما يدعو إلى الغرابة سوى زيهم الذي لا يلائم إلا حلبة السباق .

وهناك في جانب آخر كانت تجلس إمرأة طويلة سمراء جميلة المحيا غامضة الملامح رغم وسامتها ، لا تنظر إلى أحد لأن عينيها كانتا متجهتين دائماً إلى الوادي ..

بدأ الرجل الأمريكي يتكلم .

فعرف بوارو ان اسمه شوارتز ، وان المناظر الأوروبية البديعة أعجبته كثيراً .

وعندما وقف القطار عند محطة كاروشيت ، لم يغادره أحد من الركاب .

فجميعهم ذاهبون إذن إلى روشتنج .

وصرح مستر شوارتز انه يحب دائماً ان يصعد إلى القمم العالية .. وليست عشرة آلاف قدم بالشيء السهل الميسور .

وأراد مستر شوارتز أن يجتـذب إلى حديثه جاره الآخر ، ولكنه لم يزد على أن رفع حاجبيه من تحت نظارته والتفت اليـه ببرود ، ثم عاد يقرأ في كتابه ثانية ..

ولم يهتم شوارتز ببرود جاره الالماني ..

فتوجه إلى السيدة يرجوها أن تجلس مكانه لأنه أكثر ملاءمة لهـا إذا كانت تنشد المناظر الجميلة ..

فلم يبد عليها أنها تفهم الانجليزية فهزت كتفيها ورفعت ياقة معطفهـا المصنوع من الفراء ..

وقال المستر شوارتز لبوارو :

– من الخطأ أن تسافر السيدة بمفردها بدون أن يصحبها شخص يعنى بها !

فوافقه بوارو على ما قال ..

أما الرجل فقد تنهد ولزم الصمت .

* * *

انه لما يثير الدهشة والضحك معاً ، أن يرى الانسان مدير الفندق في ذلك المكان النائي البعيد عن العالم مرتدياً ثيابه الرسمية لا يتخلى عنها لحظة واحدة .

وكان علاوة على قيوده الرسمية بديناً وسيماً !

لاحظ بوارو أن المدير لم يكن في حالته الطبيعية حين أقبل عليـه فجأة هؤلاء الضيوف .

ورغم محاولته إخفاء اضطرابه بالاعتذار عن قـلة استعداد الفندق ،

فإن بوارو ، قد فطن لوجود شيء غير طبيعي دفعه إلى هـــذا الاضطراب !

أعدت موائد الطعام في غرفة طويلة .

وكان جوستاف الخادم المنوط بهذه العملية شاباً نشيطاً ، فأخذ يمر بالضيوف ومعه قوائم الشراب !

بينما جلس الفرسان الثلاثة سوياً يضحكون ويتكلمون بصوت عال بالفرنسية

وجلست السيدة الوسيمة وحيدة دون أن تنظر إلى أحد .

وجلس بوارو بمفرده كذلك ..

فجاءه مدير الفندق يقول :

– أرجو ألا تكون متضايقاً يا سيدي لخلو الفندق من الناس ، فالموسم لم يبدأ بعد . وتلك السيدة الجالسة هناك تزور الفندق في هذا الموعد من كل عام ، قتل زوجها بينما كانا ينزلقان على الجليد منذ ثلاثة أعوام ، وهي تقوم بهذه الزيارة السنوية وفاء لذكرى زوجها الراحل ، أما السيد الجالس هناك فهو طبيب مشهور من فيينا يدعى الدكتور كارل لوتز يحضر أيضاً للراحة والاستجمام !

فقال بوارو :

– إنه مكان هادىء ومريح حقاً ، وهؤلاء الفرسان الثلاثة ، هل جاءوا للاستجمام أيضاً ؟

فهز المدير كتفيه ولاحت في عينيه علامات الاضطراب ..

وقال :

– آه ، هؤلاء ! إنهم يأتون للقيام بمحاولات جديدة في الصعود إلى أماكن اكثر ارتفاعاً .

ولكن هذا الجواب لم يقنع بوارو ، بعد أن لاحظ ارتباك الرجـل واضطرابه .

وحضر السائح الأمريكي مستر شوارتز ، فتهلل بشراً حين رأى بوارو وسأله :

– كنت أتحدث مع ذلك الطبيب وفهمت منه أنه يهودي طرده النازيون من وطنـه ، وهو في الحق طبيب عظيم أخصائي في الأمراض العصبيـة والتحليل النفسي .

ثم اتجهت عيناه إلى السيدة وقال بصوت خافت

– لقد أخبرني الخادم عن اسمها وهو مدام جراندير ، قتل زوجها وهو ينزلق فوق الجليد .. اني أشعر نحوها بعطف شديد ، أظن أنه يحسن بنـا أن نسري عنها .

فقال بوارو

– لو كنت مكانك لما حاولت ذلك .

ولكن مستر شوارتز لم ينثن عن عزمه وذهب إلى حيث كانت السيدة ووقف إلى جوارها وهي تفوقه طولاً وراح ينظر معها من النـافذة إلى الوادي السحيق .

ولما أرادت الجلوس وجدته واقفاً بجوارها .

فنظرت اليه ببرود وأولته ظهرها .

ولم يسمع ما قالته له لأنه عاد إلى بوارو يقول :

– أظنني قـد أرضيت ضميري ، أظن أن روح المحبة والوئام يجب أن تسود العالم أجمع ، ولهذا تجدني قد أحببتك قبل أن أعرف اسمك ..

فقال بوارو :

– اسمي بواريير . تاجر حرير في ليون .

- يسرني أن أقدم اليك بطاقتي يا مستر بواريير ، ولو تفضلت بزيارتي في فونتيينسبرج فسأرحب بك كثيراً .

فأخذ بوارو البطاقة ..

ثم وضع يده في جيبه واجاب :

- آسف لأني لا أحمل بطاقاتي الآن .

وأقبل المساء وذهب بوارو إلى فراشه ، ولكنه قبل أن ينام قرأ خطاب ليمنتيل ثانياً ..

وقال في نفسه ..

- إنه مدهش فعلا ، ترى لو .

* * *

أحضر جوستاف طعـــام الافطار والقهوة إلى بوارو ..

وقال له ..

- معذرة يا سيدي إذا وجدت القهوة غير ناضجة تماماً لأن المياه تغلي بسرعة في هذا المكان المرتفع !

فقال بوارو :

- يجب أن نخضع لحكم الطبيعة .

فأجاب غوستاف :

- يبدو أن سيدي فيلسوف !

وقصد إلى الباب ..

ولكن ، بدلاً من أن يخرج ، انثنى بسرعة ونظر من النافذة وقـال بصوت خافت :

– أنا دوريه ، مفتش البوليس

– آه .. لقد توقعت هذا .

فقال دوريه بصوت خافت :

– لقد وقع حادث خطير للقطار .

– حادث ؟ ما هو ؟

فقال دوريه :

– لم يصب أحد بسوء ، حدث انهيار ثلجي بسيط على الطريق ، ومن العسير أن يتم الاصلاح بسرعة في هـذا الوقت الذي لم يبدأ فيه الموسم بعد ، وستكون النتيجة طبعاً ، اننا سنمكث هنا معزولين عن العالم بضعة أيام !

فقال بوارو :

– شيء جميل جداً .

فهز المفتش رأسه وقال :

– لقد كانت معلومات القومسير العام صحيحة حين قال ان اجتماع ماراسود بعصابته سيكون في هذا المكان ، ويظهر انه دبر الأمر بحيث لا يحصل ما يعرقل الاجتماع .

فقال بوارو :

– ولكن هذا محض وهم وخيال !

– هذا حقيقي يا مستر بوارو ، لأن ماراسود شخص عجيب حقاً وفي اعتقادي انه مجنون .

فقال بوارو :

– مجنون وقاتل ..

– ليس في هذا ما يدعو إلى الدهشة على ما أظن ؟

– إذا كان اجتماع ماراسود بعصابته سيحصل هنا ، فلا بد انه موجود

معنا الآن ما دامت المواصلات قد قطعت .

– أنا أعلم ذلك ..

وسادت لحظة من الصمت بددها بوارو بقوله :

– أفلا يكون الدكتور لوتز هو ماراسود ؟

فهز المفتش رأسه وأجاب :

– لا أظن ذلك ، لأن الدكتور لوتز طبيب مشهور ، وقد رأيت صورته في الجرائد وهي تشبه النزيل الذي يحمل اسمه ؟

– إذا كان ماراسود بارعاً في التخفي ، فلا يستبعد أن يكون قد لعب هذا الدور وأطلق على نفسه هذا الدور وهذه الصفة .

– هذا صحيح ، ولكني لم اسمع عنه أنه يتقن التخفي ، لأنه ليس كالأفاعي ، وإنما هو كالدببة المتوحشة ، يهجم على فريسته في جرأة وعنف ؟

فقال بوارو :

– وما الذي يعوق الدب أن يكون أفعى إذا أراد ؟

فرد درويه :

– لا شيء طبعاً ، خصوصاً وانه هارب من وجه العدالة ، فلا بد له التخفي !..

– عندك أوصافه ؟

فهز درويه كتفيه وقال :

– لقد وصلتني صورته اليوم فعرفت انه في الثلاثين من عمره ، ربع القامة أسمر الوجه ، وليس به مميزات ظاهرة .

فهز بوارو رأسه وتمتم :

– هذا الوصف ينطبق على أي شخص ؟ وما رأيك في الرجل الأمريكي شوارتز ؟

– كنت على وشك أن أسألك عنه لأنك تحدثت اليه ، وقد عاشرت على ما أظن كثيراً من الانجليز والأميريكيين .

انه ليبدو من النظرة الأولى انه سائح عادي وجواز سفره صحيح ، ولكن اليس من الغريب أن يختار هذا المكان النائي لسياحته ! ولكن اليس الأميريكيين على كل حال لا يقيمون وزناً لنفقات الأسفار ، فما رأيك الشخصي فيه ؟

فهز بوارو رأسه في حيرة واجاب :

– يخيل الي انه رجل سليم النية صافي القلب يحب الناس ولا شبهة فيه .. ولكن ما رأيك في اولئك الفرسان الثلاثة ؟

فتجهم وجه المفتش وهز رأسه وقال :

– نعم ، أقسم لك انني اشتبهت في أمرهم ، وأعتقد أنهم يكونون العصابة المنشودة وأن بينهم ماراسود المطلوب !

وبعد أن استعرض بوارو في ذهنه وجوههم المختلفة ..

أخذ يقول لنفسه :

يحتمل أن يكون ماراسود معهم ! ولكن لماذا يعرض نفسه وصاحبيه لهذه المخاطرة ، بينما يمكن تدبير الاجتماع في مكان أوفر آماناً من هذه البقعة النائية ؟

وأخيراً قال

– ولكن .. لماذا يكابدون مشقة هذا السفر المضني ، من أجل اجتماع ؟

فقال المفتش :

– هناك احتمال آخر ، وهو أن هؤلاء الفرسان الثلاثة من عصابة ماراسود وقد جاءوا ليقابلوه ، ولكن أين ماراسود نفسه ؟

فقال بوارو :

– ماذا تعرف عن المشرفين على هذا الفندق ؟

فهز المفتش كتفه وقال :

– لا يوجد سوى طاهية عجوز وزوجها جاك الشيخ والخادم الذي حلت في مكانه !

فقال بوارو :

– المدير يعرف طبعاً من أنت ؟

– طبعاً فهو الذي ساعدني في مهمتي .

– ألم يدهشك اضطرابه ؟

– ربما يكون قد ساوره الاضطراب لاشتراكه في أعمال البوليس ؟

فقال المفتش بعد تفكير :

– هذا طبيعي ..

– ولكني أفكر فيما هو أبعد من ذلك ، من الضروري أن يكون الرجل على علم بشيء .

– إذن . فمن صالحنا ألا ندعه يعرف شيئاً عن اشتباهنا في أمره ولنراقبه من بعيد ..

فهز المفتش رأسه واتجه نحو الباب وقال :

– هل من تعليمات أخرى يا مستر بوارو .

فقال بوارو :

– لا يهمني الآن سوى شيء واحد هو معرفة السبب في اتخاذ هذا الفندق بالذات لاجتماع العصابة ؟

– السبب هو النقود

– نعم فقد قتلوا سالي المسكين وسلبوه نقوده !

– كانت النقود مبلغاً ضخماً .

– إذن فالاجتماع قد دبر لاقتسام الغنيمة ؟

- نعم فالمسألة واضحة .

فهز بوارو رأسه كأنه لم يقتنع بهذا الاستنتاج وقال :

- ولماذا يجتمعون في هذا المكان الذي لا يصلح ، إلا لمقابلة غرامية ..

وقال المفتش :

- هل تظن أن ؟

فأجاب بوارو :

- أظن أن مدام جراندبير ، وهي إمرأة فاتنة ، تستطيع حين تشاء أن تغري الرجال بأن يصعد من أجلها عشرة آلاف قدم .

فرد المفتش :

- لم يداخلني أقل شك في أمر هذه السيدة وهي تتردد على هذا المكان منذ بضع سنين !

فقال بوارو :

- ولهذا اتخذوا من وجودها ذريعة لدفع الشبهة عنهم فاختاروا روشتنج !

فقال المفتش :

- سأبحث وجهة نظرك هذه يا مستر بوارو !

* * *

مضى النهار عادياً لم يحدث فيه شيء . وجلس بوارو مع الدكتور لوتز يجاذبه الحديث .

علم منه أنه اخصائي في الأمراض النفسية ، ولا يستطيع أن يتبسط في

الحديث عن مهنته مع الهواة .

ثم انتحى ركناً يقرأ في كتاب المائي ويلخص منه بعض الفقرات .

وتوجه بوارو إلى المطبخ ، حيث كانت تعمل الطـــاهية العجوز وزوجها . .

فقالت له أنه توجد كمية وافرة من الطعام المحفوظ ، ولكن ما هي القيمة الغذائية لهذا الطعام ؟

وقد كانت العناية الالهية رحيمة بالبشر إذ لم تجعل كل غذائهم طعاماً محفوظاً .

وتناول حديثهم أموراً شتى

قال بوارو :

– أين الخادم الذي كان هنا قبل أن يحضر غوستاف ؟

– نعم كان خادماً طيباً لكنه خامل غير متمرن !

– هل مكث هنا طويلاً قبل أن يحتل غوستاف مكانه ؟

– أياماً قليلة . .

– ألم يشك من هذا التصرف ؟

– كلا . . فقد ذهب بكل هدوء لأن زبائن هذا الفندق من الطبقات الراقية ويحتاجون إلى خدم مهرة .

فهز بوارو رأسه وسألها .

– إلى أين ذهب ؟

فهزت المرأة كتفيها واجابت :

– إذا كنت تعني روبرت فإنه عاد إلى المقهى الذي جاء منه ؟

– إذن فقد عاد بالقطار ؟

فنظرت اليه المرأة مندهشة وقالت :

– طبعاً . . وبأي طريقة أخرى يعود ؟

فقال بوارو :

– هل رآه أحد عند رحيله ؟

فحملق فيه الزوجان العجوزان .

وقالت المرأة :

– هل تريد أن يترك الإنسان عمله ويذهب لوداع هذا الحيوان ؟

فهز بوارو رأسه مؤمناً على اعتراض المرأة .. وراح يتفقد هذا الفندق الفخم الذي لم يفتح فيه غير الجناح الذي يشغله الضيوف أما باقي الغرف فقد كانت مغلقة لا حركة فيها .

ورأى في أحد الأركان الفرسان الثلاثة يلعبون الورق ، فنظر اليه أحدهم بعينين شاحبتين ووجه حجري .

فمر به بوارو في صمت ، حتى لقي أمامه الفاتنة الهيفاء ، مدام جراندييه .

فأسرع نحوها وسألها قائلا :

– هل كانت حادثة القطار خطيرة ؟ أرجو ألا تكون قد أزعجتك .

فقالت السيدة :

– لم اهتم بها كثيراً .

ثم سارت في طريقها دون أن تعيره التفاتاً .

* * *

أوى بوارو إلى فراشه مبكراً ونام ملء جفنيه ..

ولكنه استيقظ فجأة عند منتصف الليل على أثر فتح الباب عنوة واضاءة النور .

وجد أمامه الفرسان الثلاثـــة تفوح من أفواههم رائحة الشراب وهم يسبون ويلعنون . تقدموا منه وبأيديهم أمواس براقة .

وصاح أحدهم :

– سنسلخ جلدك أيها الشرطي القذر .

وفي هذه اللحظة هجم عليهم شوارتز فجأة مصوباً نحوهم مسدسه آمراً إياهم بالخروج وإلا أرداهم قتلى .

فرفع الثلاثة أيديهم وأسرع نحوهم بوارو يفتش جيوبهم ليتأكد من خلوها من السلاح .

وقال لهم مستر شوارتز :

– والان هلموا إلى الدولاب الذي في الممر .

وبعد أن أدخلهم الدولاب وأغلق بابه بالمفتاح التفت إلى بوارو وعليـــه دلائل الغبطة والارتياح وقال :

– كيف كان يصبح مصيرنا لولا هذه الغدارة ؟ لقد سخر مني أقاربي في فونتينسبرنج لأخذها معي في رحلتي ، فقـــالوا لي هل ستذهب إلى غابات أفريقيا ! فلو أنهم كانوا معنا فى هذه اللحظة لهنأوني على صواب فكرتي !

قال بوارو :

– لقد ظهرت يا صديقي شوارتز في الوقت المناسب وأنقذتني من الموت فأنا مدين لك بحياتي ؟

– هذه مسألة بسيطة والمهم الان أن نفكر في طريقة لتسليمهم البوليس . . فهيا بنا نتشاور في الأمر مع المدير .

– يحسن أن نتحدث أولاً مع جوستاف . آه ! آسف بل المفتش درويه فما جوستاف في الحقيقة إلا مفتش بوليس .

فحملق فيه شوارتز وقال :

– ولهذا السبب ارتكبوا جريمتهم .
– ماذا تقول ؟
– لقد كنت أنت الفريسة الثانية ، في ترتيب قائمتهم السوداء ، وكان الضحية الأولى هو جوستاف ، هيا بنا ، فقد تركت الدكتور لوتز يعنى به .

فذهبا إلى غرفة درويه حيث كان الدكتور لوتز يضمد جراحه . فالتفت اليهما الطبيب وقال :
– أوه ، يا مستر شوارتز . ما أفظعها جريمة ! ما أقسى قلوب هؤلاء السفاحين .

وكان درويه لا يزال يئن بصوت خافت ضعيف من شدة الألم . فسأل شوارتز الطبيب :
– هل حالته خطرة ؟
– لا يزال فيه رمق من الحياة . ولهذا يجب أن يبقى صامتاً ، لا يتكلم !

فسأل شوارتز مستر بوارو قائلاً :
– ذكرت لي أن دوريه مفتش بوليس .. فماذا كان يفعل في روشتنج ؟
– كان يبحث عن هؤلاء المجرمين الخطرين ..
وروى بوارو القصة باختصار ..

فقال الدكتور لوتز :
– ماراسود ؟ فقد قرأت عن جريمته في الجرائد .. إنني في الحقيقة متعطش لرؤيته ، لأبحث شذوذه ، وأتعرف على خصائص طفولته !
قال بوارو :

- وأنا يهمني ان أعرف أين ماراسود الان .

فقال شوارتز :

- هل هو أحد أولئك الثلاثة الذين أغلقنا عليهم الدولاب .

فقال بوارو :

- ربما ، ولكنني لا أجزم بذلك . أنا عندي فكرة .

ولمح فجأة علامة على البساط وقال :

- آثار أقدام ملوثة بالدماء تغطي الطريق إلى أحد أجنحة الفندق ، هلما بنا بسرعة .

وسار يتبعه زميلاه في طريق مظلم متعرب ، حتى انحنى بهم ، ولما تزل عليه آثار الأقدام الملوثة .

ووصلوا إلى باب فتح نصفه .

دفع بوارو الباب ودخل ، فوجد غرفة نوم استعملت حديثاً وعلى المنضدة صحاف الطعام . وارتاع لرؤية جثة ملقاة على الأرض وقد مثل بهـــا تمثيلا شنيعاً .

وتساءل شوارتز بصوت ضعيف :

- ترى من يكون هذا القتيل ؟

فقال بوارو :

- أظنه الخادم روبرت الذي عرف بالغباء وقلة النشاط .

ولكن الدكتور لوتز تقدم نحو الجثة وانحنى وهو يشير إلى ورقة الصقت بصدر القتيل .

فقرأها شوارتز :

« لن يقتل ماراسود أحداً بعد اليوم ولن يسلب حقوق أصدقائه » !

ثم قال :

- إذن فهذا هو ماراسود ، وقد قتله زملاؤه .

ولكن ، من الذي جـاء به إلى هـذا المكان ؟ ولماذا دعـوته روبرت ؟

فقال بوارو :

– كان يعمل هنا خادم متنكر باسم روبرت ، وكان معروفاً انه بعـد طرده قد عاد إلى اندرومات ولكن لم يره أحد .

– وماذا تظن قد حدث بعد ذلك ؟

فأجاب بوارو :

– أظن ان ما حدث كان واضحاً على وجه مدير الفندق كان اضطراب المدير دليلاً على ان ماراسود قدم له رشوة ليسمح له بالاختفاء في هـذا الجناح المجهول ، ولكن المدير لم يكن مطمئنـاً له ، ولم يشعر بارتياح لوجوده .

فقال الدكتور لوتز :

– ولماذا قتل ؟ ومن ترى قتله ؟

فصاح شوارتز قائلاً :

– من السهل ان نستنتج أن ماراسود حاول ان يغتصب نصيب شركائه في الغنيمة ، فجاء إلى هذا المكان النائي ليكون بعيداً عنهم . ولكنه أخطأ إذ تبعه زملاؤه ولقي حتفه على أيديهم .

فقال بوارو :

– إذن فلم يكن حضورهم لموعد حدد للاجتماع .

فقال الدكتور لوتز :

– لا ريب أن حواركم القائم على الاستنتاج ممتع لذيذ . ولكن أمامنا الان قتيل ، وآخر جريح ، وليس لدي من العقـاقير الطبية ما يكفيني لمواصلة علاجه . فقد انقطعت بنا الأسباب مع العالم . فإلى متى سنظل في عزلتنا هذه ؟

وأضاف شوارتز قائلاً :
– وفي قبضة أيدينا ثلاثة مجرمين .

فقال الدكتور لوتز :
–(ماذا سنفعل ؟

فرد بوارو :
– سنقبض على مدير الفندق ، إنه ليس مجرماً ، ولكنه جشع .. وهو لجبنه سيصيخ لأوامرنا . أما الطاهية وزوجها فسأجد عندهما الحبال التي أريدها ، لنقيد بها أولئك المجرمين ، وندعهم في مكان آمن حتى تصلنا النجدة ، وستساعدنا غدارة مستر شوارتز في تنفيذ أغراضنا .

فسأل الدكتور لوتز :
– وأنا ماذا سأفعل !

فرد بوارو بلهجة جدية :
– ابذل كل جهدك لانقاذ حياة الجريح ، وسنتناوب في السهر على تمريضه حتى يبرأ !

* * *

وبعد ثلاثة أيام وصل إلى الفندق بضعة رجال ، فاستقبلهم بوارو في ساعة مبكرة قائلاً :
– مرحباً ايها الصديق العزيز ليمنتل .

فشد مستر ليمنتل على يديه وأجاب :
– لا أدري يا عزيزي كيف أعبر عن تقديري لك وعواطفي نحوك .

وإني لأعلم انك اجتزت محنة قاسية وكنت مشفقاً عليك قلقاً لأجلك وانقطعت أمامنا سبل المواصلات التي تمكننا من الاطمئنان عليك .

ودخل قومسيير البوليس وجماعته إلى الفندق فقال :

– أظن ان حضورنا لم يكن منتظراً ؟

فقال بوارو :

– طبعاً ، لأن القطار لم يصلح بعد .

– نعم إنه يوم شاق ، ولكن هل تأكدتم من وجود ماراسود ؟

– نعم تعال معي .

وصعدوا على الدرج ، فخرج شوارتز من أحـــد الأبواب ، في ثياب نومه وسأل :

– إني أسمع أصواتاً ، ما هذا الذي أرى ؟

فقال بوارو :

– لقد جاءتنا النجدة .

فقال شوارتز :

– هل أنتم ذاهبون للاطمئنان على حالة المفتش درويه !

فقد أكد الدكتور لوتز أمس ان حالته تحسنت قليلا .

وساروا إلى حيث يستلقي درويه وتقدم نحوه الضباط وهم في شـدة التأثر ليمنعوه بلطف من محاولة النهوض من فراشه .

ولكن بوارو صاح قائلا .

– هوذا الدب البري يا سادتي ، خذوه حياً ، وحذار ان تدعوه يفلت من المقصلة .

فروع الجميع لهذه المفاجأة وصاح شوارتز :

– ولكن هذا هو جوستاف الخادم . انه المفتش درويه .

– نعم ، إنه هو جوستاف ، وليس درويه . وقد كان درويه

سلفاً له . أعني انه كان الخادم المدعو روبرت ، وقد قتله مساراسود في ذلك الجناح المهجور ، في نفس الليلة التي هجم فيها على أولئك المجرمون .

* * *

قال بوارو لصديقه شوارتز ، السائح الأمريكي ، وهما يتناولان طعام الإفطار :

ـ لعلك تعرف يا صديقي ، أن هناك أشياء يتعلمها الإنسان بحكم مهنته فمن السهل علي مثلا أن أميز بين المجرم ورجل البوليس ، ولهذا اشتبهت في أمر جوستاف منذ اللحظة الأولى ، وصممت ألا أشرب القهوة التي قدمها إلي في تلك الليلة فرميت بها جانباً .

وفي الهزيع الأخير جاء إلى غرفتي رجل يشق أنني في غيبوبة ، من المخدر الذي دسه لي في القهوة

فأخذ يبحث في أمتعتي حتى عثر على الورقة التي تعمدت تركها في جيب معطفي فيسهل عليه العثور عليها

وفي صبيحة اليوم التالي ، حضر جوستاف إلى غرفتي يحمل القهوة فحياني باسمي وقام بخدمتي بكل نشاط .

ولكنني لمحت في حركاته قليلا من الاضطراب .

ويبدو انه أحس ان البوليس في أثره .. وانه وقع في فخ لا يستطيع منه فراراً .

فقال شوارتز مستنكراً :

ــ ما أحمقه ! لماذا جاء إلى هنا أصلا ؟

فقال بوارو :

– كلا لم يكن أحمقاً كما تظن ، لكنه كان محتاجاً إلى مكان ناء بعيد عن العالم يجتمع فيه بشخص معين .

– ترى من هو ذلك الشخص ؟

– هو الدكتور لوتز !

– الدكتور لوتز ! هل هو مجرم أيضاً ؟

– الدكتور لوتز طبيب حقيقي ، ولكنه لم يكن أخصائياً في الأمراض النفسية ، كما زعم ، وإنما هو جراح في التجميل وتغيير معالم الوجه . وقد اتفق معه ماراسود على المقابلة في هذا الفندق القصي .

والطبيب ، كما تعلم ، رجل مشرد من وطنه وفقير ، فلم يتأخر أمام الأجر الباهظ الذي دفع له عن الحضور لتغيير سحنة ماراسود بجراحته البارعة

وربما كان يعلم ان ماراسود مجرم ، ولكنه تجاهل ذلك ، ووافق على أن يجري العملية في هذا الفندق البعيد عن العالم ، والذي يمكن رشوة مديره بسهولة ..

ولكن الأمور سارت على غير ما يريد ماراسود .

فقد تأخر حراسه الثلاثة الشخصيون عن الحضور ، واضطر إلى العمل بمفرده .

فاختطف مفتش البوليس المتنكر في زي خادم وحل محله . وعطلت العصابة القطار .

وفي الليلة التالية قتلوا مفتش البوليس والصقوا بثيابه تلك الورقة ، وكانوا يحسبون أنهم إلى ان يحين زمن إصلاح القطار سيتمكنون من دفن جثة الخادم المسكين او ماراسود المزعوم .

أما الدكتور لوتز فكان يقوم بالعملية بسرعة ، ولم يبق غير شخص واحد

يجب التخلص منه إلى الأبد وهو بوارو فهجمت على العصابة تريد قتلي لولا وقفتك المشرفة .

فقال شوارتز :

– إذن ، فأنت حقـاً بوارو ؟ لا عجب إذا كانت خـدعتهم لم تجز عليك ، فلم تخدع بجثة ماراسود المزعوم ، ولكن لماذا لم تصارحني بالحقيقة من أول الأمر .

فقال بوارو :

– لأني أردت ان أتأكد من القبض على الدب المفترس ماراسود الجبار .. وتسليمه إلى رجال البوليس حياً .

- ٥ -

الجريمة

كان الجو جميلا والسماء صافية ينعكس لونها الأزرق على مـاء البحـيرة الهادىء فيجعلها كبساط من المخمل .

وكان هارولد وورنج جالساً في شرفة الفندق يدخن مسروراً منشرح الصدر .

فقد اقبلت عليه الدنيا وهو في نضارة الشباب ، وأصبح وزيراً مرموقاً وهو في الثلاثين من عمره ..

قرر أن يستجم من عناء العمل في هيرزسلوفاكيا ، في هذا الفندق الصغير الواقع على بحيرة ستمبكا ..

وكان من رواد هذا الفندق سيدتان انجليزيتان هما مسز رايس وابنتهـا المتزوجة مسز كلايتون .

كانت مسز كلايتون جميلة المحيا ، ولكنها محافظة وخجول ، أما أمها مسز رايس ، فـكانت سيـدة مرحة ، حسنة العشرة ، فـأحب هارولد الاثنتين معاً .

ولكن كانت هناك إمرأتان أخريان ، آثارتا فضول هارولد .

رآهما وهو جالس في شرفة الفندق خارجتين من البحيرة بلباس البحر ،

وقد توارت الشمس بين السحب ..

فأحس برعدة تسري في بدنه .

حملق فيهما مليا .. رأى أنفيهما الطويلين المحدودبين كمناقير الطيور ، ووجهيهما القريبي الشبه ، والسترتين الخفيفتين اللتين تصفقهما الريح فوق أكتافهما كأجنحة الطيور .

توجهت السيدتان إلى الشرفة ، ومرتا بجانبه ، وكان يخيل للناظر اليهما انهما شقيقتان لقرب الشبه بينهما .

لقد روعه منظر أيديهما الشبيهة بمخالب الطيور ..

كانت نظراته الأخيرة لهما ، مع مغيب الشمس ، فسرت في أوصاله رعدة أخرى .

وبعد قليل ، خرجت مسز رايس من الفندق ، فدعاها إلى الجلوس معه ..

قال لها

— هل رأيت تينك السيدتين اللتين دخلتا الفندق منذ لحظة ؟

— كانتا ترتديان سترتين ؟ نعم ومرا بجانبي .

— مخلوقتان عجيبتان ، اليس كذلك ؟

نعم ، فقد وصلتا أمس ، ويلوح أنهما توأمان ؟

فقال هارولد :

— ربما كنت واهما ، ولكني أوجس منهما شرا ، سنسأل عنهما ، ولكنهما غير انجليزيتان كما أظن .

وحان موعد تناول الشاي ..

فسألها مستر هارولد عن ابنتها ..

فقالت :

— لقد خرجت في نزهة حول البحيرة !

وجاء الخادم ليؤدي ما يأمره به هارولد .

وقالت مسز كلايتون :

– ربما .. لا تتناول اليس الشاي معنا .. فقد وصلها خطاب من زوجها ..

فقال هارولد مندهشاً :

– زوجها ! لقد كنت أحسبها أرملة ؟

فنظرت اليه مسز رايس بحدة وقالت :

– إنها ليست أرملة مع الأسف !. الشراب ، يا سيدي ، هو سبب شقائها !

فقال هارولد مأخوذاً :

– هل يدمن زوجها الشراب ؟

– ليت الأمر كان قاصراً على الشراب ، ولكنه قد جمع أقبح الصفات ، فهو غيور حاد الطبع .. وإن أشد ما يؤلمني في هذه الحياة ، هو أن أرى ابنتي الوحيدة غير موفقة في حياتها الزوجية .

فقال هارولد :

– مع إنها سيدة لطيفة مثالية الأخلاق !

– ربما كان لطفها ودماثة خلقها ، هما سبب عدم توفيقها في حياتها ! لقد كانت الحياة قاسية عليها .

– ولكن كيف تزوجت ذلك الرجل ؟

– كان فيليب كلايتون جميل الطلعة ، وافر الثروة ، جذاب الحديث ، وكنت ترملت منذ زمن طويل ، وأعيش أنا وابنتي وحيدتين ، ولم تكن لدينا الخبرة الكافية للحكم على أخلاق الرجال ، كما لم نجد لسوء الحظ من ينبئنا عن أخلاقه الحقيقية !

فقال هارولد :

– مسكينة أليس .

وأحس بموجة من الأسى تنتابه لما أصاب تلك الفتاة التي لم تتجاوز الخامسة والعشرين ، والتي أسرته بحديثها الشهي ، ونظراتها الساذجة البريئة .. حتى جعلته يشعر نحوها بشيء أقوى وأعنف من الصداقة .. ولكنها متزوجة ..

* * *

قضى هارولد أمسيته مع مسز رايس وابنتها اليس ..

التي كان يبدو من جفنيها الحمراوين .. انها قد خرجت لتوها من نوبة بكاء .

وقالت مسز رايس :

– لقد عرفت السيدتين الغريبتين اللتين تسأل عنهما .. انهما تجلسان في ذلك الركن ، وقد قيل إنهما بولنديان ، ومن أسرة أرستقراطية .

فنظر اليهما هارولد ..

وقالت اليس :

– هاتان السيدتان الجالستان هناك ؟ يا للعجب ! إنهما تبدوان مخيفتين ، ولا أدري لماذا . ويخيل الي أن في حياتهما سراً .

فقال هارولد :

– هكذا كان حكمي عليهما

فقالت مسز رايس :

– على كل حال .. لا يستطيع الإنسان ، أن يحكم على الناس بمجرد النظر اليهم .

وقالت ابنتها اليس :

- هذا صحيح .. ولكنهما مع ذلك تبدوان كالطيور الجارحة

فقال هارولد متمماً :

- التي تنقر عيون الموتى .

فقالت مسز رايس :

- انهما على كل حال لا ينتظر أن تعبرا طريقنا .

فقالت اليس :

- وليست لنا أسرار خفية .

فقالت مسز رايس وهي تنظر إلى هارولد نظرة خفية :

- ربما كانت لمستر هارولد اسرار .

- كلا .. ليست لي أسرار وحياتي كتاب مفتوح !

ثم استطرد قائلاً :

- ما أغبى أولئك الذين يتنكبون الطريق السوي .. إن كل ما يحتاجه الانسان في حياته هو الصراحة ، ونقاء الضمير .. وبهذا ، يستطيع أن يواجه الحياة ، من غير أن يدع لأحد فرصة للتدخل في شؤونه

* * *

كان هارولد كسائر بني جنسه الانجليز لا يجيد غير لغته الأصلية ، ولكن هذا النقص لم يكن يهمه كثيراً ، إذ كان يجد في أسفاره الخارجية من يحسن التحدث اليه بالانجليزية .

ولكنه .. في هذا الاقليم السلافي ، وجد مدير الفندق لا يتكلم

سوى الالمانية .. ولكن إحدى صديقتيه ، كانت تتطوع بالترجمة له أحياناً ..

وصمم هارولد على تعلم الالمانية ..

فاشترى كتابين لدراستها ..

وكان الصباح جميلا ، فأخذ هارولد يكتب بعض خطاباته ..

ثم نظر إلى ساعته ، فوجد انــه لا يزال في الوقت متسع ، للتنزه حول البحيرة .

وفي أثناء جولته ، استرعى انتباهه صوت سيدة تنتحب ..

فسار نحوها .

وجــد اليس تجلس على جــذع شجرة ، وقــد دفنت وجهها بــين يــديها .

وقف لحظة متردداً .

ثم تقدم نحوها وقال بلطف :

ــ مسز كلايتون .. اليس .

فرفعت رأسها ونظرت اليه .

فجلس بجانبها وقال :

ــ أرجو أن تأمري بما تريدين ، يمكنني ان أساعدك .

فهزت رأسها وأجابت :

ــ لا ، ما أجمل عطفك ، لكن مأساتي مستعصية .

ــ هل الأمر خاص بزوجك ؟

فجففت عينيها وأصلحت من زينتها واجابت :

ــ حاولت ألا أزعج أمي لأنها تحزن كلما رأتني أبكي ولهذا أتيت إلى هذا المكان . إن البكاء لا يجدي في كثير في الأحيان ، لكنه الوسيلة الوحيدة

عندما لا تطاق الحياة .

فقال هارولد :

– إني آسف جداً يا عزيزتي .

فرمقته بنظرة شكر وقالت :

– ولكنها غلطتي ، لأني تزوجته بمحض رغبتي .. ولا ألوم إلا نفسي .

– وهكذا فاضت الكأس بما فيها ؟

– ليتني كنت شجاعة كما تتخيل .. لكنني أخافه بشدة عندما يغضب .

– يجب ان تتركيه .

– لن أجسر على ذلك لأنه لن يدعني

– وما رأيك في الطلاق ؟

فهزت رأسها قليلا وقالت :

– لكن أين هي الأدلة التي تساعدني على طلب الطلاق ؟ فقد تكلمت مع أمي كثيراً في هذه المسألة على غير جدوى .. عيب كلايتون أنه شديد الغيرة .. ويوم يراني أتحدث إلى رجل ، يغضب ويثور ثورة جامحة .

لقد سمع هارولد نساء كثيرات ، ينحين باللائمة على أزواجهن ، بسبب الغيرة .

وقد كان يعذر هؤلاء الأزواج المساكين . ولكن اليس هذه لم تكن من أولئك النساء .

إبتعدت عنه اليس قليلا ونظرت إلى السماء وقالت :

– لقد أصبح الجو بارداً ، ويحسن بنا ان نعود إلى الفندق .

وفي أثناء عودتهما لمحا إحدى السيدتين العجيبتين تسير .

كانت تتجه نحو الفندق ، ولما اقتربا منها أحنيا رأسيهما بالتحية ، لكنها بدلاً من ان ترد التحية حدجتهما بنظرة قاسية ، إرتعدت لها فرائص هارولد وظن انها قد رأتهما جالسين فوق جذع الشجرة يتحدثان ، فطاف بذهنها شيء من الظنون القذرة .

ذهب هارولد إلى غرفته حول العاشرة مساء بعد ان تسلم البريد ووجد ان بعض الخطابات يحتاج إلى رد سريع .

جلس بثياب النوم إلى المكتب ليرد على الخطابات .

فكتب ثلاثة خطابات ، ولما بدأ في الخطاب الرابع فتح الباب فجأة ودخلت اليس .

وذهل هارولد حين رآها .

أغلقت الباب خلفها ووقفت مبهورة الأنفاس مذعورة ، كأنها هربت من موت محقق .

فقالت وهي تلهث :

– لقد حضر زوجي فجأة إنه سيقتلني .. فأرجوك ألا تدعه يجدني ..

وحاولت ان تتحرك من مكانها قليلا فلم تستطع ..

فأسندها هارولد بذراعه ..

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب فجأة ، وبرز منه رجل متوسط الطول ، كث الحاجبين ، كثيف الشعر ، يحمل في يده مفتاحاً إنجليزياً ضخماً .

صاح بأعلى صوته :

– لم تكن هذه المرأة كاذبة ، حين أخبرتني عن علاقتك ، بهذا الشخص ..

فقالت اليس :

– كلا ، كلا ، لم تكن صادقة .. أنت مخطىء يا فيليب .

فحجزها هارولد خلفه ، عندما تقدم فيليب نحوها ، وهو يصيح ويهدد :

– هل أنا مخطىء فقد رأيتك في غرفته .

وراح يحاول جهده ان يحطم رأسها بالمفتاح الحديدي الذي بيده . فكان هارولد يدفع عنها يده حتى تمكنت من الهرب إلى غرفتها في نهاية الدهليز وأغلقت الباب ..

فلحق بها فيليب واقتحم الباب ، وسمعها هارولد تصيح وتستغيث .. فأسرع اليها .

وجد زوجها يضربها بقسوة وهي تحاول الافلات منه ، وأخذت تتلفت كالقطة المذعورة بحثاً عن شيء تدافع به عن نفسها . فتناولت من المنضدة ثقلاً من الحديد .. والقته على رأس زوجها بشدة .. فخر على الأرض صريعاً ..

ركعت بجانبه في رعب وخوف لترى ماذا حل به ، ولكنها سمعت أحد الأبواب في الدهليز يفتح ..

فأسرعت نحو هارولد الذي لم يبرح باب غرفتها ورجته أن ينصرف بسرعة ، فإن وجوده في غرفتها قد يثير سوء تفاهم .. بل قد يثير فضيحة تمسها كما تمسه .

عاد هارولد إلى غرفته بسرعة ، وبقي يترقب ماذا سيحدث وهو في شدة القلق والاضطراب .

وبعد نصف ساعة سمع طرقاً خفيفاً بالباب فقفز من مكانه ليرى من القادم .

لم تكن اليس كما كان يتوقع ، وإنما كانت أمها وقد أقبلت اليه فزعة مضطربة ..

وهي تلوح أكبر سناً مما كانت ، فابيض شعرها وتجمد وجهها ، واسود جفناها

قال لها هارولد

– أتتناولين شراباً يرد اليك قواك ؟

فهوت على الكرسي وقالت :

– كلا فأنا بخير !

– هل حدث شيء لكلايتون ؟

– لقد مات ..

دارت الدنيا بهارولد ، وأحس كأنه قد غرق في ركام من الجليد فانعقد لسانه ..

وبعد لحظة أفاق وسأل :

– هل مات حقيقة ؟

– لقد أصابه الثقل الحديدي في الجمجمة فهوى على حديد المدفأة ، ولا أدري أيهما كان السبب في قتله ، ولكنه مات على كل حال..

فقال هارولد :

– كان حادثاً عرضياً وقد رأيته بعيني رأسي .

فقالت مسز رايس بحدة :

– طبعاً . وأنا أعرف ذلك ، ولكن يجب أن يظل الأمر سراً .. وأصارحك يا مستر هارولد بأني خائفة جداً . نحن لسنا هنا في انجلترا ..

فقال هارولد :

– أؤكد لك من ناحيتي انني سأكتم سر الحادث .

وقالت مسز رايس :

– وهي ستكتم كذلك مسألة وجودك أثناء الحادث !

* * *

لم يكن هارولد من السذاجة والغباء ، بحيث يمكنه الركون إلى هـذا الحديث .

فأخذ يستعرض في ذهنه الموضوع من أوله ويستشف نقط الضعف فيـه ويزنها بميزان دقيق ..

فقد قابل اليس جالسة ، فوق جذع الشجرة ، وقضى معها لحظة يتحدثان ..

ورأتهما المرأة الغريبة وسمعت بعض حـــديثهما ، وهي وإن كانت تجهل الانجليزية فلا شك أنها تعرف معنى الكلمات التي ترددت أثنـــاء حديثهما « كالزوج » و « الغيرة » .

فلم يغب عنها لماذا كانا مجتمعين .

وقد أثارت تلك المرأة حفيظة فيليب كلايتون بما نقلته اليه ..

والآن .. مات كلايتون وشهد هارولد حادث موته ..

وليس هناك أقل دليل على انه لم يتعمد قذف الزوج بالثقل الحديدي على رأسه .

وليس هناك أي دليل يثبت أن الزوج الغيور لم يجد إمرأته مع هارولد في غرفة نومه .

ليس هناك سوى ما يقوله هو ..

أو تقوله اليس ؟

ولكن هل سيجدان من يصدقهما ؟

وهنا اعترته هزة خوف عنيفة .

فإذا قدر له أو لأليس النجاة من عواقب هذه الحـادثة التي ستظـل غامضة أمام القضاء فهناك الصحف التي ستتلقف أنباءها وتنشرها بعناوين مثيرة ..

« انجليزي وامرأة يتهمان بقتل زوج غيور – الانجلـيزي سياسي لامع » .

وبهذا سيقضى على مستقبله السياسي .

قال على الفور :

– هل يمكننا أن نتخلص من الجثة بأية طريقة ؟

فنظرت اليه مسز رايس في دهشة واستعلاء ، جعلاه يشعر بالخجـل وقالت :

– لسنا أمام جريمة بوليسية ياعزيزي هارولد فنحاول ارتكاب هـذا العمل الجنوني .

– أظنه المهرب الوحيد من هذه الورطة ، وإلا فماذا نصنع ؟

فهزت مسز رايس رأسها مستيئسة ، وتقطب جبينهـــا وانغمست في تفكير عميق .

فسألها هارولد :

– ترى ماذا يمكن أن يخلصنا من هذا المأزق ؟

وصمتت السيدة قليلاً ..

ثم قالت :

– لو تركنا المسألة تسير في طريقها الطبيعي فستكون النتيجة هلاك ابنتي وضياع مستقبلك ..

فقال هارولد :

– لا يهمك مستقبلي !

ولكنه من غير شك لم يعبر بهذه الكلمة عن شعوره الحقيقي ..

فقالت مسز رايس :

– والأدهى ، أنه لم تكن هناك علاقة بينك وبين ابنتي كما أعلم ..

فقال هارولد :

– أظنك تستطيعين أن تقرري هذه الحقيقة .

فقالت مسز رايس بمرارة وألم :

– نعم .. وأرجو ان يصدقوا كلامي ، فنحن لا نعرف طباع الناس هنا .

ففكر هارولد في عقلية الريفيين وما درجوا عليه في مثل هذه المسائل ، من تأويلها إلى علاقات غرامية ، ومهما قالت الأم فلن يصدقوها لأنها تريد إنقاذ ابنتها .

وقال بصوت حزين :

– نعم ، لسنا في انجلترا لسوء الحظ !

فرفعت مسز رايس رأسها وقالت :

– لسنا في انجلترا حقاً ، واني لفي حيرة مما سنعمل ، هل معك قدر كاف من المال ؟

فقال هارولد :

– ليس معي قدر كاف .. وإنما يمكنني أن أطلب بالبرق ما أحتاج اليه من مال !

فأجابت مسز رايس :

– سنحتاج إلى مبلغ كبير يكفي لتنفيذ فكرة خطرت لي .

فقال هارولد بصوت تلوح فيه نبرات اليأس :

– وما هي تلك الفكرة ؟

فقالت مسز رايس بصوت قوي :

– ليست أمامنا فرصة لاخفاء الجثة ، وإنما يحسن أن نعلن نبأ الوفاة بكل هدوء .

فلاحت في عيني هارولد بارقة من أمل لم يتوقعها وقال :

– هل ترين ذلك حقاً ؟

– نعم وسيكون مدير الفندق في جانبنا ، فليس من مصلحتـه أن يعلن عن وقوع جريمة في فندقه تسيء إلى سمعة الفندق ، وأعتقد أنه من السهل في مثل هذا الريف البلقاني أن نرشو أي شخص ، ورجال البوليس هنا اكثر الناس ميلا إلى الرشوة .

فقال هارولد :

– أنا في الحقيقة مقتنع بصدق رأيك .

فردت مسز رايس :

– ومن حسن الحظ ان أحداً من النزلاء ، لا يعلم بما حدث في الفندق .

– ترى من ينزل بالغرفة المجاورة لغرفة اليس ؟

– السيدتان الغريبتان ، أظنهما لم تسمعا شيئاً .. وإلا لخرجتـا إلى الممر للتحقق مما حدث .. كما ان فيليب وصل متأخراً ، ولم يره أحد غير الحارس الليلي ..

ولهـذا أعتقد انك توافقني يا مستر هارولد على اعلان نبأ وفـاة كلايتون رسمياً .. فنستخرج شهادة وفاة طبيعية ، ولا يكلفنـا ذلك إلا أن نكون أسخيـاء في دفع الرشوة ، إلى رئيس البوليس المختص ..

فابتسم هارولد وقال

- ستتحول القصة إلى كوميديا مسرحية .. حسناً ، يجب أن نحاول على كل حال .

* * *

كانت مسز رايس شخصية نشيطة لا تعرف السكون .. فاستدعت قبل كل شيء مدير الفندق .

وكانت الرواية التي اتفقت مع هارولد على ذكرها هي :

شجار حدث بين اليس وزوجها ، وسيثير شبابها الغض ، وجمالها الفاتن كل العطف عليها .

وفي صباح اليوم التالي أقبل نفر من ضباط البوليس وتوجهوا إلى غرفـــة مسز رايس .

ثم تركوها عند منتصف الظهر ..

فقد أبرق هارولد لطلب النقود .. ولكنه ظل بعيداً عن تحريات البوليس بسبب جهله للغة السلاف .

وفي تمام الساعة الثانية عشرة أقبلت مسز رايس إلى غرفة هارولد ، شاحبة اللون متعبة .

ولكن أسارير وجهها تنم عن الارتياح ..

قالت :

- لقد تم كل شيء !

- الحمد لله .. لقد كنت رائعة حقاً ! إني لا أكاد أصدق !

فردت مسز رايس بصوت عميق :

- لقد انتهت المســألة بسهولة ، لدرجة جعلتني أتصور إنها كانت

طبيعيـة !

ولكن الجميع كانوا يبسطون أيديهم في طلب الرشوة .

فقال هارولد :

– ليس هذا وقت الجدل في الرشوة وكم بلغت

– لكن المبلغ ضخم .

وأخذت مسز رايس تقرأ كشفاً في يدها :

أولاً : رئيس البوليس

ثانياً : مفتش البوليس

ثالثاً : الوسيط

رابعاً : الطبيب

خامساً : مدير الفندق

سادساً الحارس الليلي للفندق .

ولم يعلق المستر هارولد على هذا البيان إلا بقوله :

– لا داعي ان تدفعي مبلغ كبير إلى حارس الفندق .

فردت مسز رايس :

– ولكن مدير الفندق أصر على ان يكون حادث الموت قد حصل خارج الفندق . ولهذا رتب الوضع الرسمي للرواية على ان فيليب شعر بنوبة قلبية وهو في القطار .. فقام من مكانه وخرج يسير في الممر حتى وصل دون أن يشعر ، إلى الباب ، وقـد كان مفتوحاً ، فسقـط من القطار ..

ورجال البوليس ، كما تعلم ، لا يعجزهم شيء عندما يريدون قلب الحقائق !

فقال هارولد :

– أحمد الله على أن رجال سكوتلاند يارد ليسوا من هذا الطراز .

ثم ذهب وهو معتز بقوميته لتناول الغداء ..

* * *

وقد صمم هارولد ألا يغير ما خط عليه في الأيام السابقة وهو ان يتنـاول القهوة بعد الغداء مع مسز رايس وابنتها ..

رأى اليس للمرة الأولى بعد تلك الحادثة المروعة ، كانت صفراء اللون ، لا تزال تعاني آثار الصدمة العنيفة ، رغم تجلدها وإخفاء شعورها بالتحدث عن الجو والمناظر الطبيعية .

وأخذوا يتحدثون عن الشخصية الغريبة التي نزلت بالفندق ، ولكنها مجهولة الهوية !

فقال هارولد :

– إن هذه الشوارب الكبيرة لا تكون إلا لفرنسي

فقالت اليس :

– ويحتمل ان تكون لألماني ..

فقالت مسز رايس :

– أظن أنها شوارب أسباني ..

ولم يكن معهم أحد بشرفة الفندق غير السيدتين الغريبتين ، وقد انتحيتا ركناً بعيداً .

وكان هارولد كلما وقع نظره عليهما انتابته رعشة تهز أوصاله لغرابة أنفيهما الشبيهتين بمناقير الطيور ، وأيديهما المماثلة لمخالب النسور ..

وأتى الخادم يخبر مسز رايس ان شخصاً يريد مقابلتها . فقامت تتبعه . وعند مدخل الفندق كان ينتظرها ضابط بثيابه الرسمية .. ولم يكن هـذا

المدخل بعيداً عن الشرفة .

فقالت اليس لمستر هارولد في خوف وذعر :

- هل تظن ان المسألة لا تسير في طريقها الطبيعي ؟

فقال هارولد :

- لا .. لا .. كل شيء يسير على ما يرام !

ولكنه أحس في دخيلة نفسه بأن شيئاً ما حصل

ثم عاد يقول :

- كانت أمك مدهشة في عملها ..

فردت اليس :

- أنا أعرف أمي جيداً . فهي دؤوبة على الكفاح ، لا ترضى بالهزيمة ، لكن المسألة جد خطيرة ، اليس كذلك ؟

- لا تفكري طويلا ، فكل شيء سيمر بسلام

فقالت اليس بصوت خافت :

- ولكني لأ أنسى اني قتلته .

فقال هارولد بسرعة :

- لا تنظري إلى المسألة من هذا الجانب .. الكن إعتبريها حادثة قهرية .

وعادت مسز رايس وعلى وجهها دلائل الارتياح .

فقالت :

- قد خفت في باديء الأمر ، ولكنه أتى يستوفي بعض الأوراق .. كل شيء ، يا أولادي ، يسير على ما يرام . فقد استبعدنا من الحادث كلية ..

هيا نرفه عن أنفسنا ببعض الشراب .

وجيء بالشراب والكؤوس .

وقبل أن ينهلوا منها ، قالت مسز رايس :

– فلنشرب نخب المستقبل السعيد .

فرد هارولد وهو يبتسم لأليس :

– فلنشرب نخب هنائك ورفاهيتك .

وبادلته اليس ابتسامته قائلة :

– فلنشرب نخب سعادتك ونجاحك ، فأنا مؤمنة بأنك ستصبح رجلا عظيماً .

كان للخوف الشديد الذي ألم بهم رد فعل كبير في نفوسهم فاستخفت الخمر أحلامهم وأحسوا بسرور عظيم .

وقامت السيدتان البولنديتان من مكانهما من الشرفة ، تطويان الصوف الذي تعملان فيه الابر ، ثم مرتا بالقرب من حاجز الشرفة حتى أصبحتا بالقرب منهم .

وبعد انحناءة خفيفة جلستا بقرب مسز رايس

بدأت إحداهمـــا الحديث .. بينما راحت الأخرى تصوب نظرها إلى اليس وهارولد وتبتسم لهما ابتسامـــة ، لم يجدا فيها أقل معنى للظرف والاخلاص

وأخذ هارولد ينظر إلى مسز رايس وهي تتحدث مع السيدة الأخرى بلغة وإن لم يفهمها إلا انه عرف مدلولها على محيا مسز رايس الذي تجهم بسرعة وعادت اليه أمارات الحزن واليأس .

ولكن يبدو ان مسز رايس ، قد أخذت من المعلومات أكثر ممـا أعطت ..

ثم انصرفت السيدتان ودخلتا إلى الفندق .

واقترب هارولد من مسز رايس وسألها بصوت أجش :

– ماذا حدث ؟

فردت مسز رايس بصوت تتخلله نبرات اليأس :
– هاتان المرأتان ستشيان بنا ، لأنهما سمعتا كل شيء في الليلة الماضية ، ونحن الآن على أهبة إعلان الوفاة رسمياً ، ولكن بلاغ هاتين السيدتين سيقلب الأمر ضدنا .

* * *

نزل هارولد ليتمشى حول البحيرة وهو كالمحموم .. لعله يستطيع بهذه الرياضة السهلة ان يستعيد نشاطه ويرفه عن أعصابه ، من أثر هذا اليأس القاتل الذي انتابه ..

ووصل إلى المكان المشؤوم الذي التقت عنده السيدتان به وبحبيبته اليس ، فأكلت عقارب الغيرة قلبيهما .. وصوبتا نحوهما من سهامهما المسمومة ما نغص عيشهما .
تمتم يقول :
– لعنة الله وغضبه وسخطه عليهما !

ولكن صوت سعال خفيف جعله يدير وجهه ، فرأى الرجل ذا الشارب الكبير يخرج من تحت ظلال الأشجار .

ماتت الكلمات على شفتي هارولد ومحت من صفحة ذهنه كل المعاني التي يريد التعبير عنها . ولكن هذا الرجل القميء قد سمع من دون ريب ما كان يقوله الآن .

فقال هارولد وهو يتظاهر بالسرور :
– طاب مساؤك يا سيدي !
فرد عليه الرجل بلغة انجليزية مبينة ،

- والك طيب المساء ، يا سيدي .. وإن كنت أخشى ألا يكون كذلك ..

فقال هارولد وقد عاوده الحزن ثانية .

- حسناً .. أنا .

فقال الرجل :

- يخيل إلي انك تعاني مشكلة خطيرة ، ويمكنني ان أساعدك ، إذا أردت .

- لا .. شكراً ، شكراً .. وإنما أردت الهروب من الحر ، كما تعلم .

فرد الرجل بلطف وهدوء :

- ولكني أعتقد بأني كفيل بمساعدتك ، إن لم أكن مخطئاً في تقديري ، سأعاونك في حل مشكلتك مع السيدتين اللتين كانتا تجلسان في الشرفة .

فحملق فيه مستر هارولد وقال :

- هل تعرف عنهما شيئاً ؟ ترى من تكون أنت ؟

فرد الرجل :

- أنا هركيول بوارو .. هيا بنا نتمشى قليلاً ، في داخل الغابة ، فتخبرني عن حكايتك من أولها ..

وأنا كما قلت كفيل بمساعدتك .

لم يدر هارولد لأي سبب يبوح بأسراره إلى انسان غريب لم يره في حياته إلا منذ بضع دقائق .

والمهم انه روى لبوارو القصة كلها .

وأصغى اليه بوارو في انتباه ، وهز رأسه مرة او مرتين ، في جد وهدوء .

حتى إذا ما انتهى هارولد من روايته .

قال بوارو :

– الطيور الجارحة التي تقتات من لحوم البشر ، وتعيش على ضفاف البحيرة .

فقال هارولد :

– أستميحك عذراً .

وقد ظن أن بهذا الرجل لوثة وخبل .

فقال بوارو مبتسماً :

– إني أفكر بصوت مسموع ، وهذه طريقتي في تنـاول الأمور ، وأما فيما يتعلق بمشكلتك التي سمعتها ، فيؤسفني ان أقول انك في مركز دقيـق .

فقال هارولد بقلق :

– لست في حاجة إلى ان تخبرني بذلك .

لكن بوارو استمر يقول :

– نعم ، إنك لن تنجو من الاتهام ، وستستغل هاتان السيدتان موقفك من هذه الجريمة ، وتسلبان منك أموالاً وفيرة للتستر عليك ، ولكن مـــاذا سيحدث لو انك قصرت في إمدادهما بالمال المطلوب ؟

فرد هارولد بمرارة :

– يحم القضاء ، وينهار مستقبلي السياسي ، وتسجن فتاة بريئة لم تؤذ في حياتها مخلوقاً .

والله وحده يعلم مصيرها المشؤوم .

فقال بوارو :

– وعلى ذلك يجب ان نفكر فيما سنقوم به من عمل حاسم .

فسأل هارولد :

– ماذا ؟

فصمت بوارو قليلا ، بينما مرت بذهن هارولد لمحة من الشك والارتياب في نواياه .

قال بوارو :

– لقد حانت ساعة الدق على الناقوس .

فرد هارولد :

– أنت مجنون حقيقة .

فهز بوارو رأسه وقال :

– كلا ، يا عزيزي ، ولكني أحب ان أتبع أمثال أسلافي الأبطال ، أرجوك ان تصبر بضع ساعات ، وغداً سترى كيف أنقذك ممن يتعقبونك للاضرار بك .

* * *

وفي صبيحة اليوم التالي ، ذهب هارولد إلى شرفة الفندق ، حيث وجد بوارو جالساً بمفرده .

فأحس بشيء يدفعه نحوه للتحقق مما وعده به .

ذهب اليه يسأله في لهفة وشوق :

– هل تسير الأمور على ما تحب ؟

فالتفت اليه بوارو وأجاب :

– نعم كل شيء على ما يرام .

– ماذا تعني بذلك ؟

– انتهت الأمور كما نشتهي .

– ولكن ما الذي حدث ؟

فقال بوارو بهدوء :

– لقد نقرت على النواقيس ، او بالتعبير الحديث ، حركت أسلاك البرق ، بالاختصار ، فقد استعنت بالبرق ، وسيجلو الطائران الغريبان عن هذا المكان ، وسيفزعان إلى جهة بعيدة

وبهذا ، سيستحيل عليهما تدبير حيلهما الشيطانية ، لاقتناص الغافلين ، مرة أخرى .

فقال هارولد :

– إذن ، فقد كان البوليس يطاردهما ، وقد قبض عليهما ، في النهاية ؟

– هذا ما حدث بالضبط .

فتنفس هارولد الصعداء وقال :

– يا للعجب .. ما كان يخطر ببالي ، أن المسألة ستنتهي ، على هذا النحو .

ثم نهض واقفاً وهو يقول

– سأذهب إلى مسز رايس ، وابنتها اليس ، لأخبرهما بهذا النبأ السار ؟

فقال بوارو

– عرفتا كل شيء .

فجلس هارولد ثانية وقال

– حسناً ، أخبرني إذن بما حدث ..

ولكنه سكت فجأة ، عندما لمح السيدتين الغريبتين تخرجان من البحيرة بأنفيهما الشبيهين بمناقير الطيور وأيديهما الشبيهة بمخالب النسور ، وسترتيهما المتمايلتين كالأجنحة .

فقال وهو يرتعد

– أظنك قلت ان الشرطة قبضت عليهما .

فنظر بوارو اليهما وقال

– أوه .. هاتان السيدتان ؟ إنهما خطرتين جداً وقد اخبرك البواب أنهما من عائلة أرستقراطية ، وانخدعت بأناقتهما المفرطة ، والخالية في الوقت ذاته من الذوق والجاذبية .

فقال هارولد

– لا أزال غير فاهم لما تقول .

فقال بوارو

– إنك لم تفهمني ، فقد عنيت بالسيدتين المطاردتين من الشرطة اثنتين أخريين هما مسز رايس ومسز كلايتون .

إنهما المشهورتان باسم الطائرين المفترسين ، ويعيشان بطريقتهما المعروفة ، وهى الابتزاز .

فشعر هارولد بالدنيا تدور به .

ثم قال بصوت ضعيف

– ولكن الرجل .. الرجل الذي قتل ؟

– لم يقتل أحد ، ولم يكن هناك رجل .

– لكنني رأيته بعيني .

فرد بوارو

– كلا ، وإنما هي مسز رايس بقامتها المديدة ، وصوتها الأجش استطاعت أن تمثل دور الزوج بكل إتقان .

ثم انحنى إلى الأمام قليلا ، وربت على ركبة هارولد .

واستأنف حديثه

– يخيل إلي يا صديقي انك لم تختبر الحياة بعد . فهي مليئة بالعجائب .

ليس من السهل رشوة رجال الشرطة في الأرياف ، وربما يستحيل ذلك في جرائم القتل .

وقد استغلت المرأتان جهلك اللغات الأجنبية ، فقابلت مسز رايس مدير الفندق .

وهي كما تعلم ، تتكلم الألمانية والفرنسية ، ثم حضر رجال الشرطة وذهبوا إلى غرفتها .

وهذه مسألة سهلة ، لأن مثل هذه المرأة لا تعدم وسيلة لإحضار رجال الشرطة ، إذ يمكنهما ان تدعي مثلا انها فقدت مشبكا ماسيا ثمينا او أية حلية قيمة .

ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟

طلبت انت بالبرق مبلغا كبيراً من المال ، وعندما وصلك المال سلمته اليها حتى لا تخفق مفاوضاتها المزعومة .

ولم تكتف السيدتان بما سلبتاه منك بتلك الحيلة المدهشة ، بل دفعهما الطمع إلى استغلالك ما دمت حياً .

فجاءت السيدتان الأنيقتان وجلستا بجوار مسز رايس جلسة بريئة وأخذت إحداهما تتحدث اليها بلغة لم تفهمها .

وبهذا أمكن مسز رايس ان تدبر حيلتها الثانية ، لسلب أموالك تباعاً ، بدعوى انها سترشو تينك الجاسوستين البريئتين ، ولا شك ان الخدعة انطلت عليك مثل سابقتها .

فتنفس هارولد الصعداء وسأل

– واليس ؟ اليس ؟

فرد بوارو

– لقد مثلت ، هي الأخرى ، دورها بمهارة عظيمة ، لأنها ممثلة صغيرة بارعة .

كل شيء فيها يدل على الطهر والبراءة ، وهي لا تستحق الاعجاب لأنوثتها بل لشجاعتها .

وسكت مستر بوارو قليلا ثم قال بصوت خافت

- والانجليز يغرمون كثيراً بالشجاعة .

فقال هارولد

- سأبذل قصارى جهدي لتعلم اللغات الأوروبيـة ، حتى لا أدع لأي مخلوق فرصة لخداعي مرة ثانية .

- ٦ -

المجنون

أخذ بوارو يتفرس في زائرته العجيبة .. فقد كانت شاحبة اللون مبهورة الأنفاس .

وسألته بصوت متهدج :

– هل تستطيع يا مستر بوارو أن تعينني في مسألتي الشائكة ؟

– من أنت اولاً يا سيدتي ؟

– اسمي ديانا مابرلي .. وقد لجأت اليك ، لأني عجزت عن أن أفعل شيئاً ؟

– أرجو أن تقصي علي مشكلتك من أولها ، لأقدر موقفك .

– لقد نكث خطيبي بعهده بعد أن لبثنا خطيبين قرابة عام ..

– هذه مسألة عادية يا آنستي ، اللهم إلا إذا كان الدافع إلى فسخ الخطبة سبباً خطيراً ..

– نعم ، فقد فسخ هيو خطبته لأنه يعتقد أنه سيجن ، ومن رأيه أن المجانين لا يجب أن يتزوجوا .

– ألا توافقين أنت على ذلك ؟

– ولكني لا أعرف ما هو الجنون ؟. كل إنسان عنده شيء قليل

من الجنون !.

– نعم ، فهذا ما يقال عادة ! ولكن هل لاحظت شيئاً غريباً بدا من خطيبك ؟

– كلا . لم يظهر عليه أي شذوذ عقلي !

– لماذا يعتقد أنه سيصير مجنوناً ؟

وسكت بوارو ..

ثم استرسل في حديثه .. قال :

– ربما يوجد جنون موروث في أسرته ؟

فهزت ديانا رأسها ..

ثم قالت :

– قيل أن جده وعمته أصيبا بالجنون افرط ذكائهما .

– إني لأسف من أجلك ، يا آنستي .

– لا أريد أن تأسف لي .. وإنما أريد عملا ..

– ماذا تريدين أن أعمل لك ؟

– لا أدري ، ولكن لا بد أن يكون في الأمر خطأ ما .

– أرجو أن تخبريني يا آنستي بكل ما يتعلق بخطيبك ؟

فقالت ديانا في عبارة سريعة :

– اسمه هيو شاندلر ، وعمره أربعة وعشرون عاماً ، أمـــا أبوه فهو الأميرال شاندلر ، وهم يقيمون في قصر (لايد) الذي يتوارثونه منذ عهـد الملكة اليزابيت الأولى ، وهيو وحيد أبيه ، دخل البحرية جرياً على تقـاليد الأسرة ، ولكن أباه أخرجه منها .

– متى أخرجه أبوه ؟

– أخرجه فجأة منذ عام تقريباً .

– هل كان هيو مسروراً في البحرية ؟

- نعم .
- ألم يجد أية مضايقة ؟
- كلا . ولكنه لم يفهم لماذا أقدم أبوه على ذلك !
- ما هو السبب الذي برر به الأميرال شاندلر عمله ؟
- قال انه يريد أن يمرن ولده على إدارة أملاكه . ولكني أظن أنه يخفي وراء هذا السبب شيئاً آخر ، ويشاركني في هذا الظن جورج فروبيشر ..
- من هو جورج فروبيشر ؟
- هو الكولونيل فروبيشر أقدم صديق للأميرال شاندلر !
- ماذا كان رأيه في تصرف صديقه ؟
- كان في حيرة بالغة ، ولم يعرف أحد ما الذي دفع الأميرال إلى إخراج ابنه من البحرية ؟
- حتى ولا ابنه .
فسكتت ديانا قليلاً .
وانتظر بوارو لحظة .
ثم استرسل قائلاً :
- ربما دهش هيو حينذاك من تصرف أبيه . ولكن هل قال شيئاً بعد ذلك ؟
فغمغمت ديانا بحزن وأسى :
- منذ أسبوع قال إن اباه كان على صواب ؟
- هل سألته عن سبب ذلك ؟
- طبعاً ولكنه رفض أن يخبرني ؟
ولبث بوارو لحظة يفكر ..
ثم قال :

- هل وقعت في اقليمكم في الفترة الأخيرة أحداث غريبـة .. أحداث أثارت الأقاويل والتكهنات ؟

- لست أدري ماذا تعني ؟

- من مصلحتك ان تخبريني بصراحة .

- وقع حادث مزعج ، ذبحت بضع نعاج لفلاح شرس ، واعتبر البوليس الحادث انتقامياً ؟

- هل قبض على الجاني ؟

- لا ؟

ثم عادت تقول في شيء من الصرامة :

- إذا كنت تظن ..

- أنت لا تعرفين ماذا أظن .. ولكن اخبريني بصراحة عما إذا كان خطيبك قد استشار طبيباً ؟

- كلا ، فأنا واثقة من انه لم يفعل ذلك .

- ألم يكن ذلك أسهل طريق أمامه .

- كلا ، لأنه يكره الأطباء

- وأبوه .

- اظن ان الأميرال لا يثق فيهم ، ويقول انهم تجار جشعون

- وما هي حالة الأميرال المعنوية .. هل يبدو سعيداً ؟.

فأجابت بصوت خافت :

- لقد ادركته الشيخوخة فجأة في ..

- في العام الأخير ..

- نعم ، وهو يبدو محطماً .

- هل وافق على خطبة ابنه ..

- نعم .. لأن اسرتينا متجاورتان من قديم الزمن .. وقد فرح الأميرال

كثيراً بخطبتنا ..

– ماذا قال عندما فسخت الخطبة ..

فظهرت رعشة خفيفة في صوت الفتاة ..

وهي تقول :

– قابلته أمس صباحاً ، فألفيته متجهم الوجه .. وأمسك بيدي وقال :

« اني افهم يا فتاتي خطورة هذه المسألة ، وشدة وقعها على نفسك ، ولكن لم يكن امام إبني إلا أن يسلك هذا السبيل » ..

فقال بوارو

– ولهذا السبب جئت إلى هنا ..

– نعم .. هل يمكنك أن تفعل شيئاً ..

– لا أدري ، ولكني سأبحث الموضوع على الطبيعة .

* * *

راع بوارو حسن منظر هيو ..

فقد كان متين الجسم ، متناسق التركيب ، مفتول العضلات ، عريض الصدر ..

وتدل هيئته بالجملة على قوة خارقة .

ذهب الاثنان إلى منزل ديانا ..

ومن ثم إلى قصر لايد ..

حيث يقيم الأميرال شاندلر ..

كان الأميرال يجلس مع صديقه الكولونيل فروبيشر .

اما الأول فكان يبدو أكبر من سنه الحقيقي ، فهو مقوس الظهر غائر العينين داكن الأجفان .

وعلى النقيض ، كان صديقه نحيل البدن احمر الشعر يرخي العنان لجفنيه ، فتحسه على جانب من الخجل

بينما هو لا يفارقك فحصاً بمؤخر عينيه .

جلس بوارو بجوار فروبيشر ، وانتحى الأميرال وابنه ودياناً ركناً على مائدة الشاي يتحدثون .

فقال فروبيشر وهو ينظر إلى هيو :

– شباب فتي وقوة خارقة !

فقال بوارو :

– نعم ، شباب وقوة ! إنه طراز ممتاز للرجولة الفتية .

فنظر اليه فروبيشر بشيء من الارتياب وقال :

– اني اعرف من انت

– ليس هذا سراً .

– هل وكلت اليك الفتاة حل مشكلتها ؟

– مشكلة؟

– نعم .. مشكلتها مع هيو ! ولكني لا أفهم معنى اختيارها لك ، لأن الموضوع يكاد أن يكون من اختصاص الأطباء وليس من اختصاصك !

– إن جميع المشكلات من اختصاصي .

– ولكن ماذا تنتظر الفتاة منك ؟

– مس مابرلي فتاة مناضلة !

– نعم ، إنها فتاة مناضلة ، ولكن أفلا توجد أشياء لا يمكن النضال ضدها ؟

– نعم . مثل المرض الذي يحل بالأسرة .

مرض تتوارثه الأسرة جيلاً بعد جيل ، يختفي حيناً ويظهر حيناً آخر ، وقد كان هيو آخر من ظهرت عليه أعراض المرض .

وهنا اختلس بوارو نظرة إلى الجانب الآخر ..

فوجد ديانا وصاحبيها يضحكون ويسمرون وكأنهم لا يكترثون بالمحنة التي تهدد سعادتهم .

- ما هي أعراض ذلك المرض الجنوني ؟

- عندما بلغ الفتى سن الثلاثين وصل إلى ذروة القوة ، وبعد ذلك اختل عقله ، وشاع أمره بين الناس ، فازدادت حالته سوءاً ..

ثم صمت لحظة ..

واستمر يقول :

- سيذوي عوده النضير ، وسيهزم بسرعة ، وهذا ما يخشاه هيو طبعاً ، ولهذا يحجم عن عرض نفسه على أحد الأطباء ، حتى لا يحكم عليه باعتزال الناس ؟

- ما هو شعور الأميرال في هذه المسألة .

- لقد هدت كيانه وحطمت أعصابه .

- هل يحب ابنه كثيراً ؟

- نعم .. لقد فني الأميرال في حب ابنه ، ولم ينجب غيره ، ولم يتزوج منذ أن توفيت زوجته ، وتركت وحيدها طفلاً ، فكرس الأب حياته لابنه حتى نما وترعرع

- هل كان مخلصاً لزوجته ؟

- كان يحبها إلى درجة العبادة .. ومنذ غرق بها الزورق في اليم ، حين كان ابنها طفلاً في العاشرة من عمره ، لم يتزوج . وصرف عنايته للابن !.

وقد كانت الفقيدة جديرة بهذا الحب ، لا من زوجها فقط ، بل من

جميع عارفيها .. هل تريد أن ترى صورتها ؟

– نعم ، انني أرغب في رؤية الصورة !

فنهض فروبيشر واستأذن من صديقه الأميرال ..

وتبعه بوارو ..

بدا له داخل القصر لأول وهلة مظلماً كالجب .

ولكنه أحس بروعته وفخامته ، فسار فروبيشر إلى صالة الصور ..

فرأى منها عدداً كبيراً معلقاً على الجدران ..

الرجال في زيهم البحري الرائع والنساء في أثوابهن الفخمة وحليهن الثمينة .

استرعى نظر بوارو في النهاية صورة إحدى السيدات .. فوقف يتأملها ملياً ..

وغمغم قائلاً

– صورة رائعة ، تفيض حيوية وأنوثة !

فقال الكولونيل فروبيشر :

– إن ابنها يشبهها تماماً ، ولو انه لم يرث عنها الرقة والظرف .. وربما يرجع ذلك إلى الفرق بين الذكور والاناث ، لكنه فيما عدا ذلك نسخة ثانية من أمه .

ثم صمت لحظة ..

استطرد بعدها قائلاً :

– وقد ورث مع الأسف الشديد عن أجداده الشيء الذي لا يمكن التخلص منه .

وصمت الرجلان لحظة طويلة ، أحس بوارو خلالها كأنه يعيش في دنيا الأموات ، ولكنه تخلص من هذا الشعور بأن التفت إلى الكولونيل فروبيشر

فوجده لا يزال يتأمل صورة السيدة الفاتنة ، فسأله :

– هل كنت تعرفها جيداً ؟

– لقد نشأنا سويـــاً ، منذ الطفولة .. ثم دارت الأيام فالتحقت بخدمة الجيش في الهند .. ولما عدت وجدتها قد تزوجت من تشارلس شاندلر !

– هل تعرفه هو أيضاً منذ القدم ؟

– تشارلس من أقدم أصدقائي وأكثرهم وفاء على الود والولاء ..

– هل كنت تراهما كثيراً بعد الزواج ؟

– لقد تعودت أن أقضي إجازتي هنا ، لأني أعتبر هذا المكان بيتـاً ثانياً لي ، وقد اعتاد تشارلس وكارولين أن يحتفظـا لي بغرفة خاصة ، ولهذا حضرت الآن ، لأكون إلى جانب الأميرال تشارلس إذا استدعى الأمر ذلك !

وهنا طغت عليهما موجة من الحزن .

وقال بوارو :

– وما رأيك في الموضوع الذي نحن بصدده .

فصمت فروبيشر قليلا ..

وأرخى جفنيه كعادته ، قال :

– أظن أنه يحسن توفر الصراحة فيما بيننا .. فأنا لا أفهم غرضك من البحث في هذه المسألة .. ولا السبب الذي استدعتك من أجله ، ديانا إلى هنـــا ؟

– لعلك سمعت ان خطبتها إلى هيو قد فسخت ؟

– نعم ، لقد سمعت .

– وربما تكون قد عرفت السبب ؟

فأجاب فروبيشر في شيء من الاصرار :

– لست أعرف السبب .. فهذه مسألة خاصة .، لا يجوز لي التدخل فيها !

قال بوارو :

– لقد أخبر هيو ديانا بأنه ليس من الصواب أن يتزوجا ، لأن المرض يدنو منه بخطى حثيثة !

فتفصد جبين فروبيشر بالعرق وقال :

– أتريد أن نعود إلى التحدث عن ذلك المرض اللعين ؟ فماذا يمكنك أن تفعل .. وماذا كان ينتظر من هيو عندما شعر بأعراض المرض ، إلا ان يفسخ خطبته ، انه مرض وراثي ، وليس لأحد حيلة في دفعه .

– أرجو ان اعود مقتنعاً بصدق نظريتك .

– كل المعلومات التي تريدها عندي .

– ولكنك لم تخبرني بأي شيء .

– قلت لك اني لا أريد أن أسهب في موضوع المرض .

– لماذا أرغم الأميرال ابنه على ترك الخدمة في البحرية .

– لأنه السبيل الوحيد الذي كان يجب إتباعه .

– لماذا !

ولكن فروبيشر هز رأسه في إصرار دون ان يتكلم .

فسأله بوارو بهدوء :

– هل كان لهذه المسألة علاقة بالنعاج التي ذبحت .

فقال فروبيشر بغضب :

– إذن فقد سمعت بهذا الموضوع أيضاً ..

– لقد أخبرتني ديانا .

– كان يجدر بهذه الفتاة ان تغلق فمها لأنها لا تعرف شيئاً .

– ما هو ذلك الشيء الذي تجهله ..

فقال فروبيشر والغضب يتطاير من عينيه شرراً :
– حسناً ، سأخبرك بالحقيقة ما دمت تبحث عنها ..

في إحدى الليالي ، سمع الأميرال شاندلر ضوضاء وجلبة ، فظن ان أحد اللصوص قد هاجم الدار ، ونهض من فراشه ليتحقق من الأمر ، رأى غرفة إبنه مضاءة ، فدخلها ، فوجد ابنه يغط في نومه ، بينما كانت ثيابه ملوثة بالدماء ، كما وجد بالغرفة آنية ملأى بالدم ، ولكنه لم يستطع أن يوقظ ابنه .

وفي صبيحة اليوم التالي ، سمع بحادث النعاج التي ذبحت ..
فسأل ابنه ، فأنكر معرفته بالحادث ، ولم يتذكر أنه بارح البيت ، ولا الآنية المليئة بالدم ، ولم يتذكر أي شيء يتعلق بهذا الحادث على الرغم من وجود حذائه ملوثاً بالوحل .
جاءني بعد ذلك تشارلس ليستأنس برأيي ، فيما يجب عمله إزاء هذا الموضوع الخطير .

وتكرر الحادث بعد ذلك ثلاث مرات ، فلم نجد وسيلة غير إخراج هيو من البحرية ليكون تحت رقابة أبيه ، الذي لم يستطع ان يتحمل مسئولية استمرار ابنه المجنون في البحرية .
فقال بوارو :
– ماذا حدث بعدئذ
– لا أستطيع ان أقول أكثر مما قلت ، افلا تظن ان هيو قد سلك السبيل السوي عندما فسخ خطبته ؟
فلزم بوارو الصمت ولم يحر جواباً .

* * *

لقيا عند عودتهما الأميرال تشارلز ، فابتدرهما بقوله ·

– ألا تزالان هنا ؟ أريد ان أتحدث معك يا مستر بوارو ، فهل تسمح بالحضور إلى مكتبي ؟

وسار الأميرال يتبعه بوارو إلى ان دخلا غرفة المكتب ، وهنـــاك أشار الأميرال إلى ضيفه بالجلوس على مقعد مريح .

فقال له :

– إنه ليؤلمني كثيراً أن تستدعيك ديانا الحزينة لبحث هـذه المأساة الخاصة .. ولا أنكر ، بالطبع ، شـــدة وقع الحادث في نفسها . ولكن ألا تظن ، يا مستر بوارو ، إنها مأساتنا الخاصة ، وإننا لا نحب ان يتدخل أجنبي في شؤوننا العائلية ؟

– إنني أستطيع أن أدرك شعورك تماماً .

– لا يمكن لديانا الصغيرة ان تصدق .. وأنا شخصيـــاً لم أصدق لولا اني وقفت أخيراً على الحقيقة .

– أية حقيقة ؟

– الوراثة ، إن المرض ينتقل في دمائنا بالوراثة .

– ولكنك كنت موافقاً على الخطبة .

– لم تكن لدي فكرة عن هذا المرض ، لأن حالة هيو الصحية كانت لا تدل على وجود أي أثر للمرض .

– ألم تستشر أحد الأطباء ؟

فغضب الأميرال تشارلز وقال مزمجراً :

– كلا ، لن أستشير أي طبيب ، إني مطمئن على ابني ما دام يأمن تحت رعايتي !

ولكن ، إذا رآه الأطباء ، فسيحكمون عليه بالحبس الانفرادي كالحيوان المتوحش !

– أنت تقول انه بمأمن، ولكن هل يأمن الآخرون شره !

– ماذا تعني ؟

ولكن بوارو بقي صامتاً .

فقال الأميرال بمرارة :

– كل إنسان ميسر لما خلق له . إن مهنتك هي البحث عن المجرمين، وابني ليس مجرماً .

– ولكن مسألة النعاج ؟

– من الذي أخبرك عنها ؟

– ديانا مابرلي وصديقك الكولونيل فروبيشر .

– كان جديراً به ألا يخوض في هذا الموضوع .

– ولكنه صديقك منذ عهد طويل ، اليس كذلك ؟

– نعم ، فروبيشر من خيرة أصدقائي .

– وكان صديقاً لزوجتك أيضاً .

فقال الأميرال تشارلز وهو يبتسم :

– نعم ، وكان يحبها حباً شديداً كما أعتقد ، إنه امتنع عن الزواج طيلة أيام صباها ، ولكني كنت أوفر منه حظاً فظفرت بها وجعلتها تنتزعه من قلبها !

– هل كان الكولونيل فروبيشر معك ، عندما غرقت زوجتك ؟

– نعم ، كان فروبيشر معنا في كورنول ، ولكنه آثر ان يبقى في المنزل في ذلك اليوم ، وخرجت مع زوجتي وركبنا زورقاً أخذ يطفو بنا على الأمواج في رفق وهدوء ، حتى فاجأتنا عاصفة قوية قذفت بالقارب إلى إحدى الصخور فحطمته .

وهنا صمت قليلاً وعاد يقول بصوت متهدج :

– أمسكت بزوجتي وحاولت ان أنقذها من الموت ، ولكني لم أستطع فابتلعها اليم ولفظها في اليوم الثالث ، فوجـــدنا جثتها ، طافية على سطح الماء ..

ولم يكن هيو حينذاك معنا ، فحمدت الله على لطفه بنا ، ولكنني مع الأسف الشديد وددت الآن لو كان حـاضراً في تلك المأساة حتى لا يمر بمحنته الحاضرة .

واعترت الأميرال موجة من الأسى .

فتنهد ثم قال :

– لا يوجد من سلالة شاندلر غيري انا وابني ، وستنقطع الذرية بموتنا ، وكنت أؤثر ألا أتكلم عن المرض إذا قدر لابني الزواج من ديانا ، ولكنني حمدت الله على عدم إتمام الزواج ، وليس لدي يا مستر بوارو من الأقوال أكثر مما ذكرت !

* * *

جلس بوارو في حديقة الورد مع هيو ، بعد ان تركتهما ديانا ، والتفت اليه الشاب بمحياه الصبوح وقال :

– هل أفهمتها المسألة يا مستر بوارو؟

ثم سكت قليلاً واستطرد يقول :

– لا تريد ديانا ان تلقي سلاحها ، إنها تؤثر ان تستمر في المعركة إلى النهاية لأنها تعتقد إني سليم العقل .

– بينما تعتقد أنت انك مجنون ؟

– لا أعتقد إني قد جننت فعـــلا . ولكنني أشعر ، بأنني في

طريقي إلى الجنون . غير ان ديانا لا تصدق ذلك ، لأنها تراني سليماً معافى !

وإذا تبين لكم أنكم مخطئون جميعاً ، في ظنكم هذا .. فماذا يحصل ؟

فتنفس هيو الصعداء وقال .

– غير اني رأيت ذات ليلة حلماً ، وهذا الحلم يدل على جنوني الفعلي ، ورأيت حلماً آخر أمس ..

لم أكن في هذا الحلم رجلا ، وإنما كنت في هيئة ثور ضخم مجنون أجري في وهج الشمس ويلوث فمي الغبار والدم .. ثم انقلبت ، بعد ذلك ، إلى كلب عقور ، أجري هنا وهناك ، على غير وعي ، فيفزع مني الصغار ، ويحاول الكبار أن يطلقوا علي الرصاص ، فيستريحوا من شري ، ويقدم إلي أحدهم ، في النهاية ، وعاء به ماء لأشرب منه ، ولكني امتنعت .

ثم توقف عن الحديث لحظة وعاد يقول .

– ولما استيقظت ، وجدت أن ما حدث لي في المنام ، كان حقيقة . لأني عندما توجهت لاغسل وجهي ، وجدت فمي مغلقاً ، ولساني جافاً ، كنت أحس بعطش شديد ، ولكني لا أقوى على الشراب ، ولا أحتمل أن أزدرد شيئاً ما .. يا إلهي !. لم أكن قادراً حتى على تناول الماء بسهولة .

فتمتم بوارو بين شفتيه بعبارات التأسي والإشفاق ..
وتحول لون الفتى وجحظت عيناه ..

ثم دفن وجهه بين ركبتيه ، كأنه يخاف من شيء قادم عليه ، واستمر يقول :

– هناك أشياء أراها في اليقظة ، أرى الاطياف والمناظر المزعجة ،

وأشعر بأني قادر على الطيران كالذبابة ، فأترك فراشي لاسبح في طبقات الاثير !.

فرثى بوارو كثيراً لحالة الفتى وقد عاد يقول :

– فهل هناك أدنى ريب في جنوني يا مستر بوارو ؟ انه مرض في الدم ورثته عن أجدادي والحمد لله الذي لم يقدر لي الزواج من ديانا حتى لا ننجب أطفالاً مجانين .

ثم وضع يده على كتف بوارو وقال :

– أرجوك ان تفهمني جيداً حتى تقتنع بصدقي ، والايام وحدها كفيلة بأن تنسيها صدمتها الحالية ، خصوصاً إذا تزوجت استيفن جراهام ، وهو شاب قوي سليم العقل لا يشوبه شيء .

وأعتقد انها ستكون معه سعيدة آمنة .. وسيرى أهلها انهم كانوا موفقين في العدول عن زواجنا ، واختيار جراهام زوجاً صالحاً لابنتهم ..

فقاطعه بوارو بقوله :

– لماذا سيرتاح أهلها لفسخ الخطبة ؟

فارتسمت على وجه هيو ابتسامة عذبة جميلة ، وقال :

– لان ثروة والدتي قد آلت إلي .. وأنا بدوري ، سأتركها لديانا .

– لكن ربما تمتد حياتك إلى سن الشيخوخة .

– كلا ، فلن يمتد بي الاجل طويلا ، كما تظن يا مستر بوارو ..

ثم نظر الى جوار بوارو وقال وهو يرتعش :

– يا إلهي . أنظر إلى هذا الهيكل العظمي الذي يهتز بجانبك . إنه يناديني ؟

ثم اتسعت حدقتاه وقال في فزع وخوف كالاطفال :

- ألا ترى شيئاً ؟

فهز بوارو رأسه بهدوء .

فقال هيو بصوت أجش :

- لا تهمني هذه الرؤى المزعجة ، على كل حال ، ولكني لا أخاف شيئاً مثل الاحلام المفزعة ..

فأنا لا أنسى مثلا منظر الدم في غرفتي وعلى ثيابي . فقد وجدت ، في صباح أحد الايام ، ببغاءنا العزيز مذبوحاً ، كما وجدت بيدي موسى عليها آثار الدماء .

ثم دنا من بوارو وهمس قائلا :

- وقد حصلت حوادث أخرى في قريتنا .. وجدت بعض النعـاج والحملان مذبوحة ، ورأوا كلباً مقتـولاً .. حتى ان أبي اضطر إلى غلق الابواب كل مساء .

ومع ذلك فإنها توجد مفتوحة في الصباح .. فلا بد إني أملك مفاتيح في مكان مجهول ، وإن الروح الشريرة تتقمصني كل مسـاء ، فتحيلني وحشاً مخيفاً ، وشيطاناً مريداً ، أظمأ إلى الدماء ، ولا أستطيع شرب الماء .. الماء .

ثم دفن رأسه بين يديه فجأة .

وبعد دقيقتين سأله بوارو :

- لم أستطع معرفة السبب في عدم عرض نفسك على طبيب ؟

فهز هيو رأسه وقال :

- ألا تفهم السبب ؟ ألا تراني قوياً كالثور ؟ جباراً كالمارد ؟ ويمكن ان أعيش طويلا ؟ لكنني أفضل الموت السريع على الحياة بين أربعـة جدران كما سيأمرني الاطباء بأن أفعل ، وهناك طرق عديدة للانتحار ستعرفها ديانا إذا أرادت .

وبدلاً من ان يساجله هذه الآراء قال له :

– ماذا تأكل وماذا تشرب ؟

فمال هيو برأسه إلى الوراء وضحك بصوت مرتفع وقال

– هل تظن ان ما بي نتيجة سوء الهضم ؟

هل هذه فكرتك ؟

فأعاد عليه بوارو السؤال مرة ثانية

فأجاب :

– آكل وأشرب كسائر الناس .

– ألا تتعاطى شيئاً للعلاج ؟

– هل تعتقد ان العقاقير تشفيني من هذه الاضطرابات ؟ هل هنـاك علاج للأمراض العقلية ؟

فقال بوارو بصوت جاف :

– هل يوجد بمنزلكم من يعاني اضطراباً في النظر ؟

فحملق فيه هيو وقال

– أبي يعاني اضطراباً شديداً بعينيه ، وهو يتردد كثيراً على طبيب للعيون .

– أظن ان الكولونيل فروبيشر قضى معظم حياته في الهند ؟

– كان ملتحقاً بالجيش الهندي وعاش في الهند زمناً طويلا ، حتى أصبح ملماً بطبيعة البلاد وعادات أهلها وتقاليدهم .

فصمت بوارو قليلا .

ثم نظر الى محدثه فقال

– يلوح لي انك حلقت ذقنك ؟

فمر هيو بأنامله على ذقنه مجيباً

– نعم .. غير انها لا تزال خشنة .. وقد لاحظ أبي ، ذلـك

مرة .. ولكن أعصابي مضطربة في هذه الايام ، كما تعلم ، وأجد مشقة في الحلاقة .

– يحسن أن تستعمل بعض الدهون للتطرية .

– إني أستعمل بعض دهون أعطانيها عمي فروبيشر .

ثم ضحك فجأة وقال :

– ترى لماذا أصبحنا نتحدث كالنساء ، عن العطور والدهون والعقاقير ؟ ماذا ترمي اليه يا مستر بوارو ؟

– أريد ان أبذل أقصى ما في وسعي لخدمة ديانا مابرلي .

فتغيرت ملامح هيو وبدت عليه علامات التعقل والروية ، وضع يده على كتف بوارو وقال :

– أبذل أقصى ما في جهدك لمساعدتها ، قل لها ان تحاول ان تنساني ، ولا تفكر في مطلقاً ، كاشفها بالحقيقة المرة ، لعلها تقتنع ، أيد حديثك اليها ببعض القصص التي رويتها لك عن متاعبي واضطراباتي .. لتنساني إلى الأبد .

* * *

قال بوارو :

– أرجو ان تتشجعي يا آنستي لأنك تحتاجين إلى شجاعة فائقة

فصاحت ديانا قائلة :

– إذن فقد ظهرت الحقيقة وظهر لك انه مجنون ؟

– لست أنا الذي أقول انه مجنون ، هيو سليم العقل .

فدنت منه الفتاة وقالت :

ولكن الأميرال شاندلر والكولونيل فروبيشر يجزمان بأنه مجنون ، وهيو نفسه يعتقد بأنه مجنون !

– وأنت يا آنسق ؟

– أنا ؟ أنا أقول بأنه ليس مجنوناً ، ولهذا ..

وسكتت قليلا ثم قالت :

ولهذا طلبت الاستعانة بك .

– انعم ، لأني لا أستطيع التكهن بأي سبب آخر لاستدعائي سوى اعتقادك بأن هيو ليس مجنوناً ، هل يوجد سبب آخر يا آنسق .

– لا أستطيع أن افهم هدفك من هذا السؤال .

– من هو استيفن جراهام .

– استيفن جراهام ، اوه انه أحد الناس .

وأمسكت الفتاة بذراع بوارو وقالت :

– ماذا يدور بخلدك ، فيم تفكر ، إنك تتوارى خلف هـذا الشارب الكبير وتنظر إلى ضوء الشمس ، ولكنك لم تخبرني بأي شيء ! لماذا تبعث الرعب في قلبي ؟ لماذا أخافك كثيراً :

فقال بوارو :

– ربما ، لأني أشعر بدوري بخوف شديد .

فحدجته بعينيها الرماديتين

وهمست قائلة :

– مما تخاف ؟

فتنهد تنهدة عميقة وقال :

– إن القبض على القاتل أسهل من منعه من ارتكاب القتل

– القاتل ؟ أرجو ألا تذكر أمامي هذه الكلمة .

فغير بوارو أسلوبه وموضوع الحديث .

وقال بسرعة وحزم :

- من الضروري يا آنسة ، أن نقضي هذه الليلة سوياً .. لتدبير مسألتك ؟

- حسناً . ليس لدي أي مانع ، ولكن لماذا ؟

- لأننا يجب أن لا نضيع لحظة من وقتنا . وقد قلت بأن لديك شجاعة كافية ، فأرجو أن تبرهني على شجاعتك ، وأن تنفذي ما آمرك به ، دون أي سؤال !

فهزت رأسها دون ان تنبس ببنت شفة وخرجت ..

وتبعها بوارو .

* * *

وجد غرفة هيو معدة إعداداً تاماً .

رأى بأحد أركانها حوضاً فخماً عليه صنبوران الماء الساخن والبارد ، وبأعلاه رف زجاجي عليه بضع أنابيب وزجاجات ، ثم هبط إلى الدور الأول ولحقته ديانا . ولكن الأميرال تشارلس خرج من غرفة المكتبة ودعاه للدخول .

فدخل بوارو إلى المكتبة مع الأميرال واغلق الباب

فقال الأميرال تشارلس :

- أحب ان افهمك يا مستر بوارو اني لا أحب ذلك ؟

- ما هو ذلك الذي لا تحبه ؟

- ديانا مصرة على انك وهي ستقضيان هذه الليلة عندي ولست مستعداً لأن أضيفكما !

– ليست المسألة هي مسألة الضيافة !

– قلت لك بكل صراحة ، يا مستر بوارو ، إني لست مستعداً لهـذه الضيافة ، ولم أفهم الدافع لك على البقاء هنا .

– لأني أحاول إجراء بعض التجارب .

– ما هو نوع هذه التجارب ؟

– معذرة يا سيدي ، لأن هذا سر مهني

– ولكني لم استدعك يا مستر بوارو لمباشرة الموضوع في هذا المكان .

فقاطعه بوارو بقوله :

– ارجو أن تصدقني ، يا سيدي الأمـيرال ، إذا قلت لك اني مقدر لوجهة نظرك ، وقد سمعت منك ومن الكولونيل فروبيشر ، ومن ابنـك هيو ، روايات لا سبيل إلى تصديقها ، إلا بعد ان أرى بعيني ، وأتحقق بنفسي ..

– ما الذي تريد أن تراه ؟ هل يوجد شيء يمكنك مشاهدته ؟ لقد قلت لك بأنني اغلق الأبواب على هيو كل ليلة .

– ومع ذلك ، يحدث احياناً كما أخبرني هيو أن توجد الأبواب مفتوحة في الصباح .

– ماذا تعني ؟

– ألم تجد بنفسك الباب مفتوحاً في الصباح !

فقطب شاندلر حاجبيه .

ثم قال :

– يخيل الي ان فروبيشر هو الذي يفتح الباب .

– اين تترك المفتاح .. هل تتركه بوضعه من القفل .

– كلا ، وإنما تعودت انا وفروبيشر ، وخادمنا ويذر على وضعه بمكانه بجوار البـــاب ، ولا يؤخذ من مكانه إلا في الصباح .

وقد أخبرت الخادم بأننا نخبىء المفتاح من هيو ، لأنه مصاب بمرض النوم ، بل أستطيع ان اقول ان خادمنا يعلم ما هو اكثر من ذلك ، ولكنه لا يبوح بشيء ، فقد خبرت أمانته ، وعظيم اخلاصه لنا أثناء خدمته الطويلة لنا !

ـ هل يوجد مفتاح آخر ..

ـ هذا ما لا أعرفه ..

ـ لعل بعضهم قد صنع مفتاحاً آخر .

ـ ولكن من ..

ـ يعتقد ابنك ان لديه مفتاحاً آخر مخبأ في مكان ما .. ولو انه لا يعرفه في يقظته .

وهنا صاح الكولونيل فروبيشر من آخر الغرفة :

ـ لا أحب ذلك يا تشارلس ولا اوافق على وجود الفتاة .

فقاطعه الأميرال شاندلز بسرعة :

ـ هذا ما كنت افكر فيه ، يجب ألا تكون الفتاة حاضرة معك ، تعال بمفردك يا مستر بوارو إذا شئت .

فقال بوارو :

ـ إن هيو يحبها !

ـ ولذلك لا يجب أن تكون موجودة ، لا أحد يستطيع التكهن بما يفعله المجنون ..

ـ ما دام الأمر كذلك فديانا هي التي تقرر ما فيه مصلحتها .

وخرج بوارو من الغرفة

فوجد ديانا تنتظره في السيارة ..

فقالت له :

ـ هيــا لنحضر ما يلزمنا لهــذا المساء .. ثم نعود في الوقت

المناسب ..

وانطلقت بهما السيارة ..

وقص عليها بوارو ما سمعه من الأميرال تشارلس ، والكولونيل فروبيشر ..

فضحكت وقالت باحتقار :

ـ هل يظنان ان هيو سيؤذيني .

وطلب منها بوارو أن تقف أمام مخزن الأدوات الطبية ليبتاع فرشاة اسنان ..

وشد ما راعها أن يطول انتظارها له ، من أجل ابتياع الفرشاة المطلوبة .

* * *

كان بوارو جالساً في غرفة النوم عند بزوغ الفجر ، وكان يترقب ما تأتي به الأحداث بعد ان دبر خطته .

وما ان سمع وقع اقدام في الممشى حتى فتح الباب ، فرأى رجلين ، هما : شاندلر وفروبيشر ..

فقال الأول :

ـ هل تحضر معنا يا مستر بوارو ؟

رأوا شخصاً ممدداً على الارض امام غرفة ديانا لم يتبينوه في اللحظة الاولى ..

وعندما اقتربوا منه ، وجدوا هيو ، مبهور الانفاس ، فاقد الصواب ..

كان يرتدي ثياب النوم ويمسك في يده سكيناً عليها آثار الدم ..
فهتف بوارو :
- يا إلهي ..
ولكن فروبيشر قال بجدة :
- إنها بخير ولم يمسها بسوء ..
ثم نادى بأعلى صوته :
- ديانا ! دعينا ندخل ..
ففتحت ديانا باب غرفتها .
فبدا وجهها شاحباً كالاموات وقالت
- ما الذي حدث ؟ كنت اسمع صوت محاولة لاقتحام غرفتي فانزعجت
فقال الكولونيل فروبيشر
- الحمد لله فقد كان بابك مغلقاً بالقفل .
- لقد نصحني مستر بوارو بأن اوصد الباب .
فطلب منه بوارو أن ينبه هيو ويحضره إلى داخل الغرفة ..
ونظرت الفتاة إلى هيو بعينين زائغتين وقالت
- هيو ؟ انه هيو من غير شك .. ماذا ارى في يده .
فقال الاميرال
- لم يذبح انساناً ولله الحمد ، وإنما ذبح قطاً رأيت جثته في البهو ، ثم جاء إلى هنا ؟
فقالت ديانا بصوت يرتعش من الخوف
- هنا .. هل جاء الي ..
فتنبه هيو عندما سمع صوت ديانا وقال
- هالو .. ماذا حدث .. لماذا إكون ..
ثم حملق في السكين التي في يده وقال في انزعاج

– ماذا فعلت ؟

وأخذ يقلب بصره فيمن حوله ويقول :

– هل هاجمت ديانا ؟

فهز الأميرال رأسه وسأله إبنه :

– أخبرني عما حدث ؟ يجب أن أعرف . آه لقد فهمت ..

وهنا بدأت خيوط الصبح تتسلل إلى الغرفة .. فأزاح بوارو ستار النافذة ، فامتلأت الغرفة بأشعة الشمس ، وقام هيو يستقبل الصباح بابتسامة عذبة ويقول :

– ما اجمل الدنيا ، سأذهب الى الغابة لاصطياد الأرانب .

ثم خرج الفتى من الغرفة ، وأدرك أبوه انه ينوي الانتحار ، فحاول اللحاق به

ولكن فروبيشر أمسك بذراعه وقال :

– دعه يذهب .. ذلك أفضل له ..

والقت ديانا بنفسها على الفراش يائسة حزينة .

* * *

كان هيو يعد بندقيته للصيد عندما فاجأه بوارو بقوله :

– لا . إنك لن تفعل ما يدور بخلدك .

فأجابه الفتى :

– أرجوك ألا تتدخل في شؤوني ، دعني وشأني وإلا ..

– لا !.

– ما الذي يحدث لو لم يكن باب غرفتها مغلقاً ؟ كنت ذبحتها من غير

شك ، ولكني ذبحت القطة ، اليس كذلك ؟

– كلا ، إنك لم تذبح القطة ولا الببغاء ولا النعاج .

فحملق فيه هيو وسأله :

– هل أنت المجنون أم أنا ؟

– لم يكن أحدنا مجنوناً !

وحضر الأميرال تشارلس والكولونيل فروبيشر ، تتبعهما ديانا ، فاستقبلهم هيو بقوله :

– هذا الرجل يقول اني لست مجنوناً .

فقال بوارو :

– يسعدني أن اقرر أنك سليم العقل لا تشوبك أية لوثة .

فضحك كالمأفون وأخذ يتساءل في استخفاف :

– إنها لدعابة لطيفة ألا أكون مجنوناً ؟ إذن فكيف ذبحت النعاج والببغاء والقطة ؟

– قلت لك انك لم تذبحها؟

– من الذي فعل ذلك إذاً ؟

– شخص يحقد عليك .. يريد أن يظهرك أمام الناس مجنوناً مختل الشعور ، ففي كل مرة ، كان يدس لك مخدراً ، ثم يضع في يدك سكيناً أو موسى ملوثة بالدم .. وأما الدم الذي وجد في الآنية في غرفتك فهو ما تبقى من غسل ذلك الشخص ليديه الملوثتين بالدماء .

– ولكن لماذا يحدث كل هذا ؟

– لكي يدفعك إلى الانتحار كما كنت تنوي في هذه اللحظة .

فجحظت عينا هيو ..

والتفت بوارو إلى الكولونيل فروبيشر وقال :

– لقد عشت وقتاً طويلاً بالهند ، ولا شك انك عرفت كيف يستطيعون

بالمخدرات هناك أن يجعلوا من العاقل مجنوناً .

– لم أجرب طرقهم بنفسي ، ولكني سمعت عنها .

فقال بوارو :

– إنهم أحياناً يستعينون بالداطوره ، وببعض عقاقير أخرى ليسلبوا بواسطتها شعور المرء وإدراكه .

وأحياناً يضعون عقاراً مخدراً في الدهون التي تستعمل عند الحلاقة ، فتتسرب سمومها إلى داخل الجسم فتحدث جفافاً في الحلق ، والفم .. حتى ليتعذر على الانسان أن يبلع ريقه .. وهذا ما شكا منه هيو ذات مرة !

فنظر بوارو إلى هيو وقال :

– ولكي أزيل آخر أثر للشك من ذهنك أخذت بعض الدهون التي تستعملها في الحلاقة وحللتها في المعمل ، فوجدت بها عقار سلفات الأتروبين !

فسأله هيو في دهشة بالغة :

– من فعل هذا ؟ ولماذا !

– هذا ما كنت أحاول الكشف عنه منذ حضوري ، فهناك دوافع خفية للتخلص منك ، وديانا هي الشخص الوحيد الذي يستفيد مالياً من موتك ، ولكني لم أجد دليلاً واحداً ضدها .

– وهذا ما أرجوه بكل قوة ..

– ثم لاح لي خاطر آخر .. هو ذلك الثالوث الخالد المكون من رجلين وإمرأة . فالكولونيل فروبيشر كان يحب والدتك ، ولكن أباك تزوجها !

فصاح الأميرال تشارلس :

– فروبيشر ! فروبيشر . لن اصدق !

وقال هيو في لهجة من الشك البالغ :

- هل تعني ان البغض يعيش حتى ينصب اثره على الابن !

- نعم ، لظروف خاصة !

فصاح فروبيشر قائلاً :

- إنه كذب صريح لا تصدقه يا تشارلس !

فأزور منه تشارلس وقال لنفسه :

- الداطورة ، الهند لقد فهمت كل شيء !

فنظر بوارو إلى فروبيشر وقال :

- لعلك كنت تشك في بنوة هيو لك فلما لم تكاشفه بالحقيقة !

- لم اكن متأكداً من ذلك ، فقد جاءتني كارولين ذات ليلة خائفـــة فزعة ، ولم أعرف لخوفها سبباً ..

ففقدنا صوابنا ، وارتكبنا ما لم يكن لنا منه بد ، وانتهى كل شيء ، ولكن كارولين لم تخبرني بعد ذلك بـأن هيو إبني ، ولكني شككت في الأمر ، وعندما ظهرت عليه أعراض الجنون أدركت ان وهمي كان باطلاً ، وانه ليس ابني .

فقال بوارو :

- نعم ، لقد ازال هذا الجنون المصطنع من ذهنك كل شك .. ولكن ألم تر أن ملامح هيو تشبهك تماماً ! لقد استطـــاع تشارلس بفراسته ، أن يتحقق من هذا التشابه منذ سنين طويلة .

ولعله استطاع ان يستخلص الحقيقة من زوجته نفسها .

واعتقد انها كانت تخافه ..

وانها حين رأت أعراض الجنون تظهر في سلوكه نحوهـــا هرعت اليك والقت بنفسها في احضانك ..

انت الشخص الوحيد الذي احبته .

وبدأ تشارلس يدبر خطته الانتقامية .

فماتت زوجته في حادثة الزورق التي لا يعرف حقيقتها سواه ، ثم أخذت ترغي في قلبه نيران الحقد والكراهية لذلك الصبي الذي يحمل اسمه من غير أن ينجبه .

سمع منك كيف يستعملون في الهند الداطورة لسلب ذوي العقول عقولهم .

فاستخدمها لتحقيق هدفه والانتقام من هذا الفتى الذي يذكره دائماً بجريمة زوجته ، لكي يراه مخبول العقل يائساً من الحياة .

والأميرال تشارلس هو الذي ذبح النعاج والببغاء والقط .

وهو الذي لوث ثياب الفتى بالدماء ، وغسل يديه في الوعاء ، وأراد أن يحمل هذا الفتى كبش الفداء !

هل تعرف متى شككت في نوايا هذا الرجل .. عندما امتنع بشدة عن عرض ابنه على طبيب ..

أدركت انه يمتنع عن ذلك لأنه يخشى ان يقول الأطباء ان جنون هيو يمكن شفاؤه بخلاف جنونه هو الموروث عن الآباء !

فقال هيو بهدوء :

– عاقل . إذن فأنا عاقل ..

ثم تقدم من ديانا والكولونيل فروبيشر وقال :

– وانتما أيضاً عاقلان ، لأن عائلتنا مبرأة من المرض !

فصاحت ديانا والبشر يعلو وجهها :

– هيو ..

أما الأميرال تشارلس فأخذ البندقية من هيو وهو يقول :

– اظن انه يمكنني ان أصطاد بها الارانب .

ولكن فروبيشر تقدم من صديقه محاولاً منعه مما انتواه ، فأمسك بارارو

بذراعه وقال :

– دعه يذهب . ذلك أفضل له .. أنت نفسك قلت ذلك منـذ لحظة .

وخرجت دياما مع هيو من الغرفة .

أما بوارو وفروبيشر فلبثا ينظران من النافذة إلى آخر رجل من سلالة شاندلر وهو يقطع طريقه إلى الغابة .

ثم سمعا في النهاية طلقاً ناريأً .

- ٧ -

حتى يفرق الموت بيننا ..

شعر جورج بايل بأعصابه تتوتر فجأة ، حين غادر المصعد وسار في الدهليز المؤدي إلى شقة مارشا كانون،فقطب حاجبيه وتجلد وقاوم الاضطراب الذي استولى عليه .

يجب ألا يكون هناك أي شك ، أو تردد ، أو تخاذل ، فقد اتخذ قراراً نهائياً ولن يرجع عنه .

وأخرج المفتاح من جيبه فوضعه في قفل الباب وهو أشد تصميماً مما كان في أي وقت مضى .

وسمعت مارشا حركة المفتاح في القفل .

كانت صبية سمراء ، ذات محيا جميل وجسد مثير ، لا يكاد قميصها الحريري الأزرق يخفي مفاتنه .

قالت وهي تقبل خده :

– إنك بكرت بالحضور ، أيها الحبيب ، فإنني شرعت في التو في ارتداء ثيابي .

فأجاب :

– أعلم إنني جئت مبكراً يا مارشا .

قال ذلك بصوت أجش ، ولم يكن يريده ان يكن كذلك .

وسار إلى قاعة الاستقبال ، غير انه ظل واقفاً .

كان رجلاً قوي البناء قد مشى الشيب في سوالفه

وتبعته مارشا فقالت مبتسمة :

– لن أتأخر طويلاً ، فلا تتعجلني .

فاستدار ليواجهها وقال في هدوء :

– إنني أنتظر هذه اللحظة منذ بضعة أيام ، وسأقول لك ما أريد ببساطة وإيجاز .

فتلاشت الابتسامة عن شفتيها وهتفت قائلة :

– أحقاً ؟

– نعم .

وكان مفتاح الشقة لا يزال في يده ، فوضعه على مائدة القهوة ، واستطرد قائلا :

– إنني لن أجيء إلى هنا مرة أخرى ، يا مارشا .. هذه هي الزيارة الأخيرة .

فرمقته بنظرة حادة وقالت وهي تجلس على أحد المقاعد :

– هل اتخذت هذا القرار استجابة لدافع فجائي نبيل يا جورج ؟

– كلا ، إن خيانتي لزوجتي لم تزعجني في البداية ، لكنها أزعجتني فيما بعد ، هذا ما لا أستطيع فهمه .

– أظن إني أستطيع ، الآن قد شفيت زوجتك من مرضها فإنك تريد لحياتك الزوجية ان تعود لمجراها الطبيعي .

فاحمر محياه ورد :

– لا ضرورة للسخرية يا مارشا ، إنها تزيد الموقف صعوبة ، إن فلورنس

لم تكن قط مريضة جسمانياً

– طبعاً ، طبعاً .. لكنها كانت مريضة عصبياً وعقلياً ، فيما أذكر ، أليس كذلك ؟

– ذلك ما قلته لك ، ربما أكون قد أخطأت ، إن فلورنس إمرأة عاطفية . وقد أصيبت بالانهيار عقب مشادة بيننا ، وأنا أشعر الآن بأني مسؤول إلى حد ما عما حدث لها .

فردت مارشا وهي تتفرس في محياه :

– يا انبل أخلاقك !

فاحمر محياه مرة أخرى وصاح :

– لا تثيريني يا مرشا .

– وبعبارة أخرى ، انت لا تزال تحب زوجتك .

ولما لم يجب على الفور استطردت قائلة :

– هل حدثت فلورنس عن علاقتنا ؟

فأشعل لفافة تبغ بولاعة تحمل الحروف الأولى من اسمه ، فرد بعد ان استرد هدوءه :

– كلا ، لم أحدثها ، وليس في نيتي ان أفعل .

– ألا ترى ان شعورك الفجائي النبيل هذا ، لا محل له ، ولا مغزى ؟

– إني لا أرى ضرورة لعرقلة شفاء فلورنس .

فهزت رأسها ببطء . وتركزت عيناها على الولاعة التي في يده وسألت :

– هل هي جديدة ؟

فقال وهو يضع الولاعة في جيبه :

– نعم .

فنظرت في عينيه وقالت بلهجة لها مغزاها :

– هل هي هدية يا جورج ؟

فرد في خشونة :

– نعم .. هدية لمناسبة عيد ميلادي .. تلقيتها اليوم ، من فلورنس .

فابتسمت ساخرة وقالت

– ما الطفها !

وصمت ، وجاهد للسيطرة على مشاعره ، ثم قال بعد ان استرد هدوءه

– أنا آسف لهذا القرار الفجائي يا مرشا ، ولا أقول إني لم أستمتع بالعلاقة التي توثقت بيننا ، ولكني اتيت الليلة وأنا واثق من انك ستفهمينني وتقدرين موقفي .

اني أريد ان ينتهي ما بيننا في هدوء .

– بهذه البساطة ا. بعد كل هذه الشهور .. ولمناسبة عيد ميلادك ، استيقظت مشاعرك النبيلة فجأة ، وتجدد اهتمامك بزوجتك

فرد بايجاز

– فسري الأمر كما تريدين .

فضحكت ضحكة خشنة ساخرة وقالت

- قل الحقيقة يا جورج .. قل ان زوجتك لا تهمك ، وإنما يهمك مجلس الادارة الذي رشحت لعضويته فلا تريد ان تكون لك علاقات تسيء إلى سمعتك وتعرقل انتخابك ..

ولذلك فالوداع يا مرشا .

فاشتد احتقان محياه ورد بايجاز

– إن ترشيحي لعضوية مجلس الادارة ، لا علاقة له ، بما نحن

بصدده .

فردت بمزيد من السخرية .

- طبعاً لا توجد علاقة .

ولكن إبتسامتها الساخرة تلاشت فجأة ، ونهضت من مكانها وقالت وهي تعقد ذراعيها الذ عمتين حول عنقه

- لماذا يسيء كل منا إلى الآخر على هذا النحو أيها الحبيب ؟ لقد كدنا نتشاجر ، أنا واثقة من ان شعورك سيتغير غداً .

فخلص عنقه من ذراعيها بحزم وقال

- أنا آسف ، ليس في استطاعتي ان أستمر .

فانبعثت واقفة وصاحت وهي تتراجع خطوة إلى الخلف

- حسناً . عد الى فلورنس العزيزة !. إذهب !. إفعل أي شيء ولا تقف هكذا كالكلب الذليل .

وعصفت جملتها الأخـــيرة بما بقي له له من سلطان على نفسه ، فأمسك بكتفيها بعنف وصاح

- إني لست كلباً

فصاحت وهي تنتزع نفسها من قبضته

- أبعد يديك عني .

وصفعته على فمه !

وكان رد الفعل سريعـاً ، ولا إرادي .. فقد أهوى جورج بكفـه على محياها .

فتقهقرت وتعثرت قدمـاها وسقطت على الأرض وارتطم رأسها باحدى قوائم مائدة القهوة وكان للارتطام صوت مزعج .

ولم تتحرك ..

وأحس بالدنيا تدور حوله ، وغشيت عينيه سحابـــة حجبت عنهما

المرئيات ، ثم انقشعت السحابـــة ، واستقرت عيناه على الجسد الملقى تحت قدميه .

جثا على ركبتيه ، والعرق يتصبب من جبينه ، ومد يدأ مرتجفـــة إلى موضع القـلب من صدر مرشـا ، ثم جس نبضهـا ، وتفجرت الحقيقة في ذهنه .

لقد ماتت !

كانت الصدمة كافية لقتلها

ونهض واقفاً ببطء ، وبدأت المرئيات تستقيم أمام عينيه ، لكن أنفاسه ظلت تتلاحق وخيل اليه ان رأسه سينفجر .

لقد ماتت مرشا . ماتت ، وهو الذي قتلها !

وتتابعت أفكاره بسرعة .

إنه لطم مرشا برفق ، فسقطت وارتطم رأسها بالمائدة ، فالحادث إذن وقع بالقضاء والقدر .

لكن هل ستصدقه الشرطة يجب أولاً ان يغادر المكان .. ويخلو إلى نفسه ويفكر تفكيراً منطقياً .

لكن صبراً .

لا أحد يعلم انه زار مرشا في تلك الليلة ، فإنه استطاع الخروج دون أن يراه أحد .

* * *

وبعد ساعة ، كان يجلس في مشرب قريب من بيت مرشا ، كان واثقاً من ان أحداً لم يلمحه حين غادر الشقة أو حين خرج من البيت وكان على

يقين من انه لم يترك في الشقة أثراً يدل عليه او يرشد اليه .

وبالتدريج ، ومع الشراب ، ومزيد من الشراب ، بدأ التوتر الذي شل أعصابه يزول ..

لكن عقله لم يكف عن التفكير .

لقد قتل مرشا ، وسواء كان ذلك عمداً او عفواً فهو مجرم .

وأدرك الحقيقة ، أدرك انه لن يستطيع الانطواء على جريمته والاحتفاظ بسلامة عقله في وقت معاً .

يجب أن يصارح أحداً ، بما فعل .. أي أحد .. فيما عدا رجال البوليس .

* * *

كانت فلورنس تشاهد التلفزيون عندما عاد جورج .

كانت إمرأة نحيفة الجسم ، ترتدي ثوباً بسيطاً ، ولها فم كبير لا يمت إلى الجمال بصلة ، ولكن بشرتها كانت ناصعة ، وشعرها الذهبي كان معقوصاً بطريقة جذابة ..

قالت وهي تطفىء التلفزيون :

– يبدو ان عملك لم يستغرق وقتاً طويلا .

فلم يجب ، وتناول إحدى الصحف المسائية ، ونشرها أمامه .

وفي لحظة الصدق هذه ، عاوده التردد .

قال :

- لم يكن العمل كثيراً كما ظننت

ونظر إلى عناوين الجريدة .

غداً سيحتل مصرع مرشا مكاناً بارزاً بين هذه العناوين .

وفجأة قال :

– فلورنس !

– نعم .

ونظرت اليه ، والتقت عيونهما

فتردد مرة أخرى ، ثم جمع أطراف عزيمته وتكلم .

قال :

– فلورنس . إني لم أذهب الليلة إلى مكتبي ، إنما ذهبت لمقابلة إمرأة تدعى مرشا كاتون ، كنت قد التقيت بها في إحدى الحفلات منذ ستة شهور عقب مرضك مباشرة ، وقد ترددت عليها مراراً بعد ذلك .

وأصغت اليه فلورنس في هدوء ثم سألت :

– لماذا تقول لي ذلك يا جورج ؟

فقال بسرعة :

– لأني لم أردَ لهذه العلاقة ، ان تستمر .. لأني قلت ذلك لمرشا الليلة . لأني ..

وصمت ، ولم يجرؤ على إتمام كلامه ، وتصبب العرق على جبينه

ونظرت اليه فلورنس في هدوء ولم تتكلم .

قال ببطء وهو ينظر إلى الأرض :

– لأنها ماتت ، تشاجرنا فصفعتها فسقطت واصطدم رأسها باحدى الموائد، إني قتلتها يا فلورنس .

فمرت على شفتيها ابتسامة باهتة وقالت :

– كلا يا جورج .

قالت :

– كلا يا جورج . فقد أغمي عليها فقط ، ولكنها اتصلت بي تليفونياً

بعد انصرافك من شقتها

فسرى عنه ، وأبرقت أسارير وجهه ، وصاح بصوت يجمع بين الارتياح والانكار :

– أغمي عليها فقط ؟

– نعم .

– واتصلت بك ؟

– نعم .

فنظر اليها متسائلا وقال :

– إذن فقد كنت تعلمين ، منذ البداية ؟

فهزت رأسها وأجابت .

– كلا . لم أعلم إلا حينما اتصلت بي .

ثم ازدادت إبتسامتها شحوباً وقالت :

– مهما يكن من أمر ، فقد أحببتك دائماً باخلاص يا جورج وسأظل أحبك ثق من ذلك .

فلم يفهمها وأشعل لفافة تبغ ليخفي حيرته ، ثم قال :

– ماذا تعنين بقولك (مهما يكن من أمر) ؟

فأجابت :

– لقد ضايقها انك تركتها مغمى عليها ، ولم تحاول إسعافها ، فاتصلت بي لتحدثني عن علاقتكما ، وقالت انها ستتصل بالصحف غداً فتروي لها القصة كاملة ، وتلوث إسمك وسمعتك ، وتقضي على كل أمل لك في عضوية مجلس الادارة .

وصمتت ، ونظرت إلى أصابعه وهو يعبث بالولاعة ، ثم قالت :

– ولكني ما كنت لأسمح لها بأن تفعل ذلك .

فأحس بطنين في أذنيه .

نظر إلى زوجتـه ، فرأى في عينيها نظرة استسلام ، فتنـاول يديها وصاح :

– فلورنس ، لا ريب انك ..

– لم يكن بوسعي ان أدعها تدمرك ، فذهبت اليها ، وحاولت ان أثنيها عن عزمها ، لكنها كانت تتميز غيظاً وحنقاً فلم تصغ لي .

وصمتت وبللت شفتيها بلسانها وتابعت قائلة :

– وكنت قد أخذت مسدسك لاستخدامه فيما إذا رفضت .. فأطلقت عليها الرصاص ثلاث مرات .

* * *

ومرة أخرى ، أخذ جورج يفكر بسرعة .

كان أكيداً من ان أحداً لم يلمحه حين غادر شقة مرشا، ترى هل شاء الحظ الحسن أن يحدث مثل ذلك لفلورنس ؟

وقرأت ما يجول بخلده ، فقبلته وأضافت :

– لا أظن ان أحداً قد رآني . ومع ذلك فقد فات الأوان ، أيها العزيز .

– ماذا تعنين ؟. إذا لم يكن هناك من رآك فإن ..

فأشارت فلورنس إلى الولاعة وقالت :

– كانت فانورة الولاعة في حقيبتي ، ومن المؤكد انها سقطت في الشقة حين أخرجت المسدس من الحقيبة .

غير اني لم أفطن لذلك إلا منذ عشر دقائق ، وقد فات الأوان الآن للعودة لاستردادها .

— ولكن الفاتورة ليست دليلا ، وبوسعنا التخلص من المسدس .

ولكنها أسكتته باشارة من يدها وقالت :

— لا فائدة يا جورج ، سيكون هناك تحقيق وتجربات وأسئلة ، هل تظن حقاً إني أستطيع مواجهة كل ذلك ؟

فارتسم الألم في عينيه وهو ينظر اليها .

كلا ، إنها لا تستطيع ، ولا هو يستطيع .

وكان لا يزال ينظر اليها ، حين أتى رجال الشرطة .

تمت —